

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



جامعة قلمعان



كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

2013

تخصص: حضارة عربية إسلامية Fac/LT 05050

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر الموسومة بـ

السمات الحضارية في حكايات ألف ليلة وليلة

تحت إشراف الأستاذ:

د. محمد مرتاض

من إهداد الطالبين :

✦ مليكة رايح

✦ يامنة جبور

السنة الجامعية: 1432-1433 هـ / 2011-2012 م

دعاء

ربي اشرح لي صدري

و يسر لي أمري

واحلل عقدة من لساني يفقه قولي

اللهم اهدنا سبيل الرشاد، اللهم اهدنا سبيل الرشاد، اللهم اهدنا سبيل الرشاد

اللهم استر عوراتنا، وآمن روعتنا

اللهم احمنا وتجاوز عنا، اللهم احمنا وتجاوز عنا، اللهم احمنا وتجاوز عنا

اللهم استجب دعائنا



شكر ورفان

نحمد الله العلي القدير الذي وفقنا إلى إتمام هذه العمل

نشكر العائلة الكريمة التي وقفت إلى جانبنا خلال فترة الدراسة وإنجاز
المذكرة.

نشكر الأستاذ المشرف " محمد مرتاض " الذي تفضل بالإشراف على
العمل ولم يبخل علينا بتوجيهاته .

نشكر الأساتذة الكرام خاصة السيد: عبد القادر شريفه بموسى.

السيد: عبد العالي بشير.

السيد: محفوظ سالمى.

نشكر كل الزملاء الذين قضينا معهم أوقات الدراسة الجامعية.

نشكر كل من ساندنا، وحقّنا، وساعدنا، وفرح لنجاحنا.



إهداء

إلى التي لم تشغل وقتها إلا بي

إلى التي أفنت عمرها من أجلي

إلى التي احترقت كالشمعة لتبخر حروبي

إلى الحبيبة الغالية "أمي"

إلى من وضعيني في أول المشوار

إلى من سافر إلى غير رجعة

إلى روح أبي الطاهرة أسكنه فسيح جنانه

إلى منبع الدعاء الدائم . إلى التي ما بخلت به يوماً علينا . إلى برحة العائـلة

إلى "جدتي"

إلى من قاسموني رحماً واحداً

إلى من عاشوا معي في كنف عائلة واحدة

إلى أخوي : بلعيد وزوجته (كريمة) / بصية وزوجها (حسين) .

إلى الكتائب السغار : يحيى لؤي - تسنيم حياة - محمد - إياد .

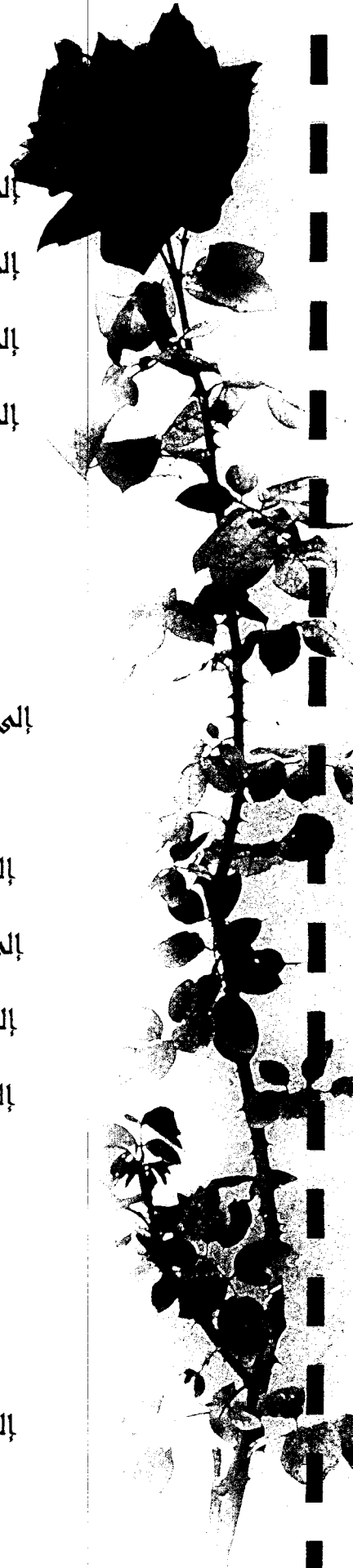
إلى من عرفتما خلال مشواري الدراسي

إلى من شاركتني إنجاز هذا العمل

إلى توأم دراستي مليحة

إلى كل هؤلاء أميدي هذا العمل المتواضع .

بإمانة



إلى..... داء

إلى التي حملتني وهنا على ومن، ورايتهم بفنخلما النور، ورايتهم في التعجب
والصبر راحة لما في سبيل هباتي، التي كمانت شمعة تحترق لتضيء، حربي حياتي، وتبهر
طريقي، والتي أمنت عمرها لإسعادي وعممت بحبها وحنانها، ومانحتني في مشوار
دراستي، وحفزتني على مواصلة، إلى أعز مخلوق أحبه أكثر من أي شيء في الدنيا.

إلى أمي الحبيبة: "ساهرة"

إلى من رباني ورباني وعلمي، إلى من أثار قلبي بزينة الصدق والأخلاق، إلى
سراج طريقي، إلى أعز مخلوق على قلبي.

إلى أبي العزيز: "منور"

إلى إخوتي الطهور: محمد المالك، محمد الناصر، وخاصة محمد الطي ساندني في
دراستي، وهيا لي الظروف لبلوغ هدي.

إلى أخواتي: جميلة، وزوجها يوسف وأولادهما "بلال، سميرة، كوثر"، ورضيدة،
وزوجة أخي حكيم وفرحة البيت وبمبجتها المتكوتة "إشراق إلى حبيبة قلبي بصيفة.

إلى من شاركتني الدراسة، ومرآة هذا العمل، إلى يامنة ومانلتها المحترمة.

إلى من حملوا لي بذرة الحبيب، وسألوا عني، ودعموني من بعيد، وانتظروا

نجاحي.

إلى كل من ساعدني، وأمدني بالعون ولو من بعيد.

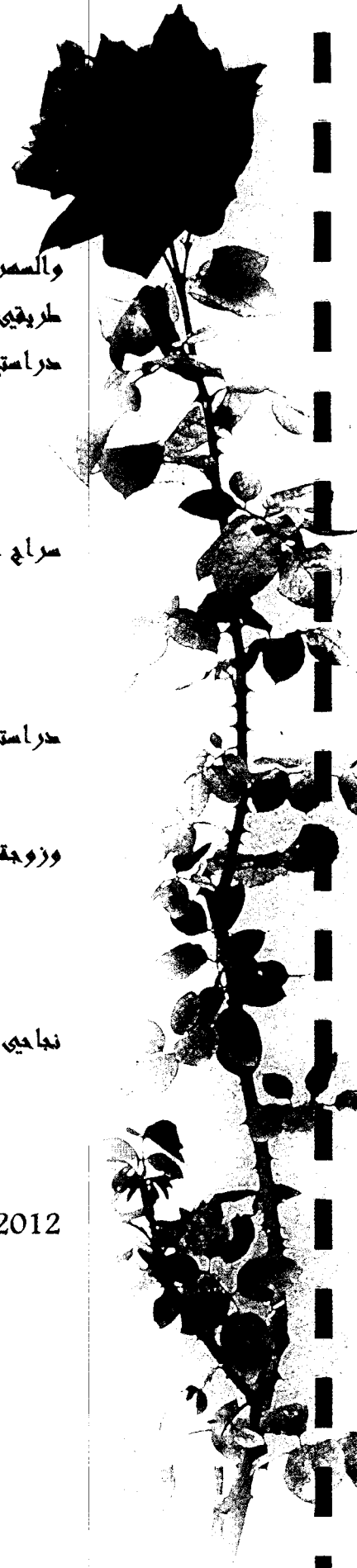
إلى طلبة السنة الثانية ماستير بتخصصهما: حضارة ودراسات حديثة، 2011 -

2012.

إلى من يحب العلم، ويضيء من أجل رفع رايته.

إلى كل هؤلاء، أمدي ثمرة جسدي.

ملحمة



مقدمة

عُدَّت "ألف ليلة وليلة" من كتب التسلية المحرّمة عند بعض المتزمتين، ربّما كان ذلك من جملة الأسباب التي منعت الدارسين من البحث فيها، إلى أن قامت سهير القلماوي بذلك متعرضة لجوانب متعددة. فقد كنا نسمع بهذا الكتاب مجملا دون تفصيل لحيثياته، وبمجرد أن أتاحت لنا فرصة الدراسة بعد توافق التخصص مع الموضوع، ورأينا أنه موضوع جديد لم يطأه أحد، كما أنّه نال اهتمام الغرب قبل العرب، وبسبب عنوانه المثير الذي يشد الانتباه ويبعث في النفس التساؤل، بالإضافة إلى ما روج عنه من أقاويل بأنه كتاب متعة وتسلية، وأنّ ما جاء فيه مخلٌّ بالأخلاق. ومن أجل الخوض في هذا البحث، طرحنا إشكالات عدّة.

1- فما هي حقيقة هذا الكتاب؟.

2- وما هي خلفية عنوانه؟.

3- وهل هو كتاب متعة فقط؟ وإن كان غير ذلك، فما هي سماته الحضارية؟.

ولأجل استنباط الإجابة الشافية على هذه الإشكالات، عدنا إلى المصدر الرئيس المتمثل في كتاب "ألف ليلة وليلة"، ثم أبحرنا في بعض المصادر والمراجع التي عُنيت به، قصد التزود بالمعلومات المطلوبة، ومن تلك الكتب على سبيل المثال: الفهرست لابن النديم، ومروج الذهب للمسعودي، وفي نظرية الرواية لعبد المالك مرتاض، والمسار السردّي وتنظيم المحتوى لعبد الحميد بورايو وغير ذلك من مذكرات الماجستير التي كانت عوناً لنا في بحثنا.

وسعيّنا خلال هذا البحث إلى الالتزام بخطة بحث محددة، رسمناها لأنفسنا وتمثلت في ثلاثة فصول بعد مقدمة، حيث تناولنا في الفصل الأول نظرة مجمّلة عن كتاب "ألف ليلة وليلة" ينقسم إلى شطرين، أولهما التعريف بكتاب "ألف ليلة وليلة"، وثانيهما ملخص عن بعض الحكايات المتضمنة للسمات، أما الفصل الثاني، فقد تطرقنا فيه إلى "ألف ليلة وليلة" وعلاقة شخصياتها بالحضارة، وهو بدوره يتفرع إلى: أولاً تحديد الشخصيات في الحكايات المختارة للدراسة، وثانياً علاقة هذه الشخصيات بالحضارة، ليكون آخر فصل متضمناً للسمات الحضارية

في حكايات "ألف ليلة وليلة"، مقسما إلى قسمين أولهما السمات المعنوية، وثانيهما السمات المادية، وذيلنا هذا البحث بخاتمة أجمالنا فيها أهم النتائج المستخلصة.

وإننا في بحثنا هذا لم نتبع منهاجا واحدا بعينه، وإنما مزجنا بين مجموعة من المناهج بحسب ما تقتضيه طبيعة البحث، ومن بينها المنهج التاريخي، والاجتماعي، والنفسي وغيرها وسلكنا طرقا لإيضاح الفكرة، وتعميم الفهم كالوصف والتحليل.

ومن الصعوبات التي واجهتنا أثناء انجاز بحثنا مثلا: اختلاف نسخ كتاب "ألف ليلة وليلة"؛ من حيث الكم الهائل للحكايات؛ فتوجد حكايات في نسخ غير موجودة في أخرى، فكان لزاما علينا أن نختار نسخة واحدة للدراسة، وكذلك محدودية المراجع، وضيق الوقت بالنسبة لطبيعة الموضوع؛ حيث تخلينا عن سمات أخرى لم نتطرق إليها بالدراسة.

وفي الأخير يسعدنا أن نتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف السيد: محمد مرتاض على كل ما أمدنا به من توجيهات ومساعدات، وإلى كل من وقف إلى جانبنا حتى أتمنا عملنا المتواضع.

تلمسان في: 13 . 06 . 2012

يامنة جبور ومليكة رابح

الفصل الأول: نظرة مجملة عن كتاب ألف ليلة وليلة.

1- التعريف بكتاب ألف ليلة وليلة

أ- العنوان:

إنّ ألف ليلة وليلة أو الليالي كما اصطلح على تسميتها في بعض الدراسات الأدبية المعاصرة هي أروع ما كتبه وأنتجه الفكر البشري. أول شيء يلفت انتباه الباحث هو العنوان والذي في مكوناته لا يشير لأي التباس ممكن بين "ألف" و "ليلة" فهما يشيران في دلالتهما الأولية إلى عدد صحيح "ألف" و آخر "ليلة واحدة" ولهما موقع متميز في الذاكرة العربية، ليقى السؤال المطروح لماذا "ألف" على وجه التحديد؟، خاصة إذا علمنا أن هذا العدد لا علاقة له بعدد الحكايات التي رويت، فهي أقل بكثير من الليالي، فأي سلطة سحرية يسلكها هذا العدد؟¹

ويشد كل دارس للفنون الأدبية في بادئ الأمر عناوينها، حيث يحاول البحث في العلاقة الرابطة بين عنوان الكتاب وفحواه، لمعرفة الأوشاح التي سمحت باقتران الدال بالمدلول.

فعنوان "ألف ليلة و ليلة" يلفت انتباه "بورخيس" و يدلّ على أن كلمة "ألف" تعني لانتهائي لأنّ فكرة اللانهاية هي أساس هذا الكتاب، و الليالي لا حصر لها، وأيضاً إضافة ليلة لليالي اللانهاية، كما إنّ العدد "ألف" يحوي معنى فردوسي هو السعادة الأبدية.² فهذا المدلول يزيد جمالية العنوان و بهائه، وبذلك يفتح على عالم لا محدود، واللا مرتقب والمحتمل، وكل ما يمكن أن نتخيله من خلال مجريات الحكايات. هذه الدلالات التي ذكرناها أنفا تحيلنا إلى أنّ العدد "ألف" ليس مقصوداً لذاته، ولا رقماً قصد به مجرد الكثرة في الحكايات، إنّما التسمية تشير إلى

1: ينظر تجليات العجيب في "ألف ليلة وليلة"، ليلي حوماني، رسالة ماجستير، كلية اللغة و الأدب العربيين قسم الثقافة الشعبية سنة

2003 - 2004: 75.

2: ينظر المرجع نفسه: 78/ عن أثر التراث الشرقي و ألف ليلة وليلة في رؤية العالم عند بورخيس، ابتهاج يونس مجلة فصول المجلد 3

العدد 2 سنة 1999: 336.

الإطار الذي يضمن خلود الحلم الرائع في استمرار السير الحكائي، و من أجل الوصول إلى الهدف المنشود، و تحقيق العلاج المناسب. ولكن يبقى السؤال المطروح، لماذا أضيفت ليلة واحدة بعد الألف؟. بمفهوم كل شيء يخضع لمقاييس سواء كانت معروفة أو مجهولة، " فإنّ الليلة الواحدة جاءت لترفع التقابل بين الوحدة والكثرة، و إضافتها ردّ الكثير "ألف ليلة" إلى مبدأ الواحد باعتباره علة الكم. فنحصل على مخطط دائري الذي يرمز إلى البداية و النهاية، و الشمس".¹

نستنبط من هذا القول: إن "الليلة الواحدة" التي جاءت بعد الألف إنما تبين لنا الفارق الواضح بين الليلة الأولى التي بدأ فيها الملك شهريار بالانتقام من كل فتاة يتزوجها، معبرا عن غضبه و كرهه للنساء، و الليلة الأخيرة التي استرجع فيها حبه وثقته بهن بفضل شهرزاد.

كما يشير العنوان أيضا إلى المساحة التي تشغل عليها الحكايات، فهي تريد أن تخرج بنا من واقع العتمة "الليلة" إلى النور " الشمس" من أجل استنشاق هواء الحرية، وهي الليلة التي أنقذت شهرزاد نفسها، و كذا سائر بنات الرعية من الموت. وكان لها الدور الفعال في انقاد شهريار من الأزمة النفسية، واستطاعت أن تصنع له عقار يشفيه من مرضه، وبذلك فالليلة قد توجت بانتصار شهرزاد، و تحقيق الاستقرار.

وبذلك نجد العنوان قد تحول من معلم كمي إلى آخر زمني، عندما انطلقت الشخصية الرئيسية في صوغ الحكايات عبر سلسلة من الليالي، التي كانت بدايتها "الليلة الأولى" قبل "الألف"، إذ هي المؤشر الزمني للمشروع في الوجود الفعلي للحكاية، غير إنّ ليلة الانطلاق ممزوجة بالضياع و الخوف و افتقاد التوازن لتصل إلى الليلة بعد ألف، التي تعد بالكثير أولها الخلاص على عدة جهات، لأنّها ليلة شهرزادية غير كل الليالي الشهريارية التي سبقت هذه الليلة.

1: ينظر المرجع السابق: 77.

فليلي حوما ني في رسالتها تشير: " لعل الرقم (ألف) و (ليلة) يشيران إلى النساء اللواتي صرعهن شهريار".¹

فشهريار عند اكتشافه خيانة زوجته مع عبد له، قتلها، وانتابه شعور بالكره وعدم الثقة في جنس النساء، و اتخذ القتل سبيلا للانتقام، فكان يقتل كل فتاة يتزوجها بعد ليلتها الأولى واستمر ذلك مدة ثلاث سنوات

أما الليلة الأخيرة ميزت شهزاد عن غيرها من الفتيات، و شكلت وحدها الليلة بعد الألف وكانت بمثابة المفتاح للحرية، لذلك وجب استغراق ثلاث سنوات من الحكيم، لكي تثنيه عن القتل، و تغير فكرته الظالمة، و تعيد إليه توازنه . تلك الليلة وحدها كانت الخلاص النهائي مثلما هي أيضا شفاء شهريار من أزمته واستطاع أن يخرج من ظلمته، وكشفت الغمامة التي حجبت عنه الحقيقة؛ بأن البشر أشكال وألوان. فاعترف شهريار بأخطائه، وأدرك عفة وطهارة شهزاد، كشكل من أشكال ردّ الاعتبار للمرأة، التي كانت في عرفه رمزا للخيانة والدونية. لذلك يمكن القول بأنّ العجائبية قد ميزت الليلة بعد الألف لأنها اختلفت عن الليالي السابقة فهي تمثل المرحلة المضيئة من حياة شهزاد، وأعطت اللون الأبيض من وجه النهار.

فالعنوان "ألف ليلة و ليلة يشكّل مرحلتين، الأولى المظلمة والثانية المضيئة التي حدث فيها التغيير، وحققت شهزاد الحرية و الاستقرار؛ فهي قد قضت على الخوف الذي انتشر بين أفراد الرعية، مما دعا كل العائلات إلى الفرار ببناتهن من جبروت شهريار و ظلمه، كما أعادت الطمأنينة إليها. ففي ذلك تكمن سمة الحضارة، التي تنصهر في بنية العنوان، فهو مدلول قد سبق تفعيل الحكايات في الإشارة إلى مضمونها؛ بل اختزل مسارها على حدّ تعبير جرار جينت الذي يشير إلى هذا المعنى بقوله: " العنوان يحيلنا إلى مضمونه قبل قراءة الكتاب".²

1: ينظر المرجع السابق، الصفحة السابقة.

2: ينظر المرجع نفسه: 77 / عن G.Genette.Figures4 p 73 .

إنّ كتاب "ألف ليلة و ليلة" شكل جدلية التفكير في التقلبات التي أحدثتها الشخصية الإطار أثناء خوضها مرحلتى الرواية، فكانت بمثابة المخطط البياني الذي يبنينا بالتغيرات التي كانت تحدث لشهريار، و هو يتلقى العلاج مدة ثلاث سنوات ، لإخراجه من تلك الغيبوبة.

هذه بعض المدلولات التي يشير إليها العنوان، ولعل هناك الكثير الذي لازال غامضا ويمكن للمجتهّد أن يكتشف الجديد بعد خوضه غمار القراءة، و الوصول إلى استنطاق ما بين السطور، لأنّ مغامرات هذا الكتاب لا تنتهي، و لن تتوقف عند هذا الحد، و انفتاح العنوان على اللانهائية ، و المسكوت عنه يشكل عنصرا هاما يضاف ليعزز عامل الحضارة في النص.

ب - مرجعية الكتاب:

نظرا لأهمية كتاب " ألف ليلة و ليلة" في الدراسات الأدبية، و المكانة المرموقة التي حظي بها على المستوى العالمي، فهو إن لم يكن مهما بالنسبة للعرب فقد شكل المادة الخام للأدباء الغربيين، من خلال ترجماته الكثيرة و طبعا المتعددة "فغوته" اطلع على هذا الكتاب منذ نعومة أظافره. فالكتاب يشكل مجموعة قصصية تراثية عربية، قد اهتم بها المثقفون و المؤرخون خاصة عند ظهورها مجهولة المؤلف، وبذلك أثرت حوله العديد من التساؤلات منها على الخصوص مرجعيتها أو الانتماء والتأليف. و للإجابة عن هذا السؤال لابد من التنقيب و تصفح المصادر والمراجع التي اهتمت بهذا المجال.

أقدم المصادر التاريخية العربية تعود بنا إلى "ابن النديم" في كتابه "الفهرست" والذي نسب انتماءه إلى الفرس حيث كتب يقول: " و نقلته العرب إلى اللغة العربية و تناوله الفصحاء والبلغاء، فهذبوه و نمقوه، و صنفوا في معناه ما يشبهه، فأول كتاب عمل في هذا المعنى كتاب "هزارأفسان"، ومعناه "ألف خرافة"، وكان السبب في ذلك أن ملكا من ملوكهم كان إذا تزوج امرأة و بات معها ليلة قتلها من الغد، فتزوج من جارية من أولاد الملوك ممن لها عقل و دراية يقال

لها شهرزاد فلما حصلت معه ابتدأت تخزّفه، وتصل الحديث عند انقضاء الليل بما يحمل الملك على استبقائها، وسألها في الليلة الثانية عن تمام الحديث إلى أن أتى عليها ألف ليلة".¹

كما نفى "المسعودي" في كتابه "مروج الذهب" انتمائها إلى العرب، ويدرجها ضمن الكتب المنقولة إلينا، و المترجمة من الفارسية، و الهندية، و الرومية حيث يقول: "وسبيل تأليفها مما ذكرنا مثل كتاب "هزار أفسانه"، وتفسير ذلك؛ من الفارسية إلى العربية (ألف خرافة) والخرافة بالفارسية يقال لها "أفسانه" و الناس يسمون هذا الكتاب ألف ليلة و ليلة".²

يتضح من القولين: إنّ كلا من المسعودي، وابن النديم يستبعدان فكرة الانتماء للعرب و يرجعان أصل الكتاب إلى الفرس، والهند، والروم؛ بأنه من إبداعهم و اتخذ اسم هزار أفسانه وفي المقابل يطرحان فكرة تقدم العرب في النقل والترجمة بوصفها حركة مبكرة في الثقافة العربية .

في حين يؤيد المستشرقون في دراساتهم انتمائها للعرب، لأنّ هناك آراء تطلعت لتكون أكثر موضوعية من خلال وقائع استند إليها بواسطة تحليلات نصّية إذ نجد الناقد "ماكدونالد" الذي يؤكد بأنّ الكتاب ذو أصلين الفارسي و آخر عربي فبعد دراسة و تحليل مخطوطات الكتاب المتوفرة لديه يجزم بأن الكتاب مرّ بمراحل أساسية:

- الأصل الفارسي (هزار أفسانه).

- الترجمة العربية للأصل.

- نواة هزار أفسانه و ما أضيف إليها من حكايات ذات أصل عربي.

- الليالي التي كتبت في العصر الفاطمي.

- نص "مخطوط أنطوان جالان" مترجم الكتاب إلى اللغة الفرنسية في بداية القرن

1: ينظر الفهرست، ابن النديم، دار المعرفة، بيروت، ط2، 1997: 369.
2: ينظر مروج الذهب، المسعودي، دار الأندلس، بيروت، ج2، ط1، 1973: 251.

الثامن عشر.¹

ومن ذلك فإن قضية الانتماء و التأليف تطرح أكثر من إشكال؛ إما على مستوى هوية النص الثقافية أو على صعيد انتمائه إلى مؤلف بعينه، إلا إن ذلك لا يمنع انتسابه إلى بيئة عربية بحكم الموضوعات من أمزجة و سلوك، و تطلعات وتأملات أو من حيث الجغرافيا والأعلام، أو من حيث البنية الذهنية، والطبيعية والفطرية للشخصيات، إلى غير ذلك من الملامح التي أدت ببعض الباحثين إلى اعتبار "ألف ليلة وليلة" ثمرة من ثمرات الحضارة الإسلامية، ونتاج من نتائجها فهي ذات روح عربية الصميم، و سرد عربي، بالإضافة إلى أماكن جغرافية عربية إسلامية خالصة مثل بغداد، البصرة، دمشق، مصر، السودان المغرب. وهذا الرأي ينحاز إليه الباحث عبد المالك مرتاض في كتابه "ألف ليلة وليلة تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية حمال بغداد"، فهو يجح بأن "ألف ليلة و ليلة" من أصل عربي وحجته في ذلك قول المستشرقين: إنّ الفرس و الهنود أسهموا إسهاما فنيا في إنجاز "ألف ليلة وليلة" مستشهدين بوجود "ألف ليلة وليلة الهند" تشبه "ألف ليلة وليلة"، و لكن لا ينبغي أن نستدل على شيء موجود بشيء آخر معدوم. إذن أين ألف ليلة و ليلة الهندية أو الفارسية؟ .

ومن هذه النظرية الكاذبة نشأت تهمة العرب بقصورهم على الشعر وحده حتى أنهم لم يعرفوا فنّ السرد.² ومما يدل على أن العرب قد خاضوا في مجال القص، وأسلوب الكتابة القصصية، المعتمد على السرد المشوّق، والحوار والوصف ما أجاد به شوقي ضيف في قوله: "إن أدب الرحلة خير رد على التهمة التي طالما اتهم بها الأدب العربي و هي تهمة قصوره في فنّ القصة". ومن ذلك نستنتج إن "ألف ليلة وليلة" هي وليدة الحضارة الإسلامية لأن التاريخ الحضاري أظهر حقيقة معروفة؛ و هي أنّ العرب أمة كبيرة، وقد شيدت حضارة مكتملة، ولعل ذلك

1: ينظر ألف ليلة وليلة في الترجمة الفرنسية، فيدوح يسمينة،مذكرة ماجستير كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية قسم الثقافة الشعبية،15:2001/ عن ألف ليلة وليلة الأصول والتطور مجلة المعرفة:138.
2: ينظر ألف ليلة وليلة، تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية " حمال بغداد"، عبد المالك مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر
نط،1993: 6.

يظهر من خلال قراءتنا للحكايات الموجودة في الليالي، حيث إن أغلبها جرت في مواطن عربية و نستدل على ذلك بما جاء في الموسوعة الميسرة العربية "التي قسمت القصص من حيث المواطن، فأبرز البيئات التي وقعت فيها أحداث الحكايات هي: مصر، وسوريا، والعراق والسودان، والمغرب وفلسطين"¹.

وبعد رحلة القراءة و التفحص، وجدنا بأن الحكايات التي رسمت صفحات كتاب "ألف ليلة و ليلة"، تعددت وقائعها، و امتزجت أحداثها، و اتخذت مواطن مختلفة، فكانت من بلاد فارس والصين، والسند، والهند، والعرب. انطلاقاً مما أوردناه من آراء، فإن الحكايات في "ألف ليلة و ليلة" تشكل مزيج من الجنسيات والأمم، ولكننا نسجل ملاحظة مهمة وهي سيطرة الوجود العربي في السرد الحكائي، ومع ذلك فإن هذا الكتاب يمثل تراث اشتركت فيه جميع الأمم لذلك لا يمكن غلق مجال البحث والتنقيب عن أصل هذا الكتاب لتبقى فرصة للباحث الذواق لهذا الفن العجائبي.

د - كتاب "ألف ليلة وليلة" من حيث المضمون:

صنفت حكايات "ألف ليلة وليلة" ضمن الأدب الشعبي، وهي مجهولة المؤلف ظلت حقة طويلة من الزمن تنتقل من جيل إلى جيل عبر الرواية الشفوية، حتى ثمنت بالكتابة. و تعتبر وثيقة تراثية مهمة لدراسة المجتمع الإسلامي القديم.

هي حكايات متداخلة، وغنية، ومتنوعة فيها قصص الحب، والمغامرة والنوادر التاريخية، والمقطوعات الفلسفية، والأخلاقية، وأصبحت مصدر إلهام الكثير من القصاصيين والشعراء، ومنتبعي التراث في العالم، كما تعد هذه الحكايات تشكيلة و فسيفاء عجيبه لعالم سحري، و غرائبي أخاذ، جمع بين طياته ألوانا من البشر، والجنّ والأرواح تعيش في محيط من القصور، والدور مزينة باللؤلؤ و الزبرجد والياقوت. بالإضافة إلى ذلك حملت لنا أخبار الملوك والسلاطين، و الحكم و الأمثال، و أعاجيب الجنّ إلى درجة الإبهار.

1: الموسوعة العربية الميسرة، مجموعة من المؤلفين، المجلد الأول، دار الجيل، بيروت، القاهرة، تونس، ط2 2001: 279.

من الذين أبهرتهم حكايات "ألف ليلة وليلة" ستا ندال الذي لم يمل من قراءة هذا الكتاب إلى درجة أنه يتمنى نسيان ما احتواه ليستمتع بقراءته من جديد.¹

و نجد غوته كذلك أعجب بهذه الحكايات، وهو يؤكد في كتابه الذي يتحدث فيه عن "ألف ليلة وليلة" بأنها تضمنت أجواء، و أفكارا، و كان يسعده الإشارة إلى شهرزاد و سماها بالأستاذة لأنها جعلته يحس بقربه من الشرق.²

كتاب "ألف ليلة وليلة" هو مجموعة من الحكايات المنفصلة عن بعضها، قد تكون الحكاية واحدة من البداية إلى النهاية، و قد تتخللها عدّة حكايات ثانوية، وهذه الحكايات يتم روايتها في كل ليلة، كانت شهرزاد تقوم برواية الحكاية في كل ليلة لشهريار لتقطع عند الفجر وتتمها في الليلة الموالية، حتى أصبح العدد ألف ليلة و ليلة واحدة. تباينت لغة الحكايات بين الفصحى و العامية، حيث نجد كثير من اللهجات المتداولة، من بينها اللهجة المصرية، و بعض الألفاظ المعروفة لدينا بالإضافة إلى ذلك يتخلل هذه الحكايات شعر مصنوع في نحو عشرين وأربعمئة بعد الألف مقطوعة.

يشكل مفهوم التعاليم الإسلامية عنصرا بارزا، بحيث يتحكم في أغلب أبطال قصص "ألف ليلة و ليلة" يظهر ذلك في ممارسة الشخصيات، إذ نجد أثر القرآن و السنة في الحياة الاجتماعية، و الاقتصادية و أثناء الحروب مثل حكاية "غريب و عجيب و سهيم الليل" في الجزء الثالث من الكتاب.³

وتسيطر على أكثر القصص بيئة التجار، المتصلة بطبقة الحكام من جهة و بطبقة الفقراء المقتر عليهم في الرزق من جهة أخرى مثل حكاية " سيف الملوك

1: ينظر الاغتراب في حكايات "ألف ليلة وليلة"، شريف بموسى، مذكرة ماجستير في الأدب الشعبي سنتي (96-97): 10 / عن مقدمة ألف ليلة وليلة، المجلد الأول، قنري جلعجي، دطه دت، بيروت: 12.

2: ينظر غوته و ألف ليلة وليلة، كاترينا مومس، ترجمة أحمد الحمو، مطابع الإدارة السياسية في الجيش، دمشق: 1980: 400.

3: ألف ليلة وليلة، ج3، الليلة 614، دار الكتب العلمية، 1999: 158.

و بديعة الزمان " حكايات "السند باد البحري"؛ الذي قام بسبعة سفرات في الليلة العشرين بعد خمسمائة في الجزء الثالث.¹

العنصر النسوي طغى في الحكايات؛ إذ نجد عالم المرأة واسع و شاسع تنوعت صورها و اختلفت اختلافا متباينا في مستواها، ومكانتها، وطباعها؛ فمن ملكة إلى جارية، إلى زوجة تاجر، إلى محضية خليفة، إلى عالمة، إلى محاربة، إلى عاشقة، و معشوقة.² فالمرأة هي المحرك في حكايات "ألف ليلة و ليلة"؛ ابتداء هذا الفضاء الحكائي من امرأة خانت زوجها لتعقبها امرأة أخرى تحاول أن تصلح ما أفسدت، ثم تأتي نساء أخريات ينسجون خيوط القمص من البداية إلى النهاية فنجد:

- المرأة ذات الدهاء، والمكر متمثلة في "شواهي ذات الدواهي" في حكاية "عمر النعمان و ولديه شركان و ضوء المكان".

- المرأة العالمة ممثلة في نزهة الزمان و تودد.³

- و في الحكايات نساء من الجنّ يعشنّ كالنساء العاديات في الحب، و الكره و إن كانت لهن قدرات غير عادية مثل حكاية "حسن البصري".

- كما أفاضت الحكايات في وصف النساء و مفاتنهن، و هذا ما زاد أسباب رواج هذه القصص شعبيا مثل حكاية "الجواري المختلفة الألوان" و الحوار الذي وقع بينهنّ من حيث المزاي و العيوب؛ فقد قامت كل واحدة بالحديث عن نفسها ذاكرة محاسنها و مشيدة بتميزها عن نقيضتها.⁴

ومن الأمور التي طغت أيضا في حكايات "ألف ليلة و ليلة" ظاهرة السحر، الذي بلغ شأنًا عظيمًا، لم يبلغه في كتاب آخر. فلا نكاد نعثر على مشهد لا

1: المصدر السابق، الجزء السابق: 391، ج: 4: 26.

2: ينظر تأثير ألف ليلة وليلة في القصص الشعبي الجزائري، شهرزاد بوسكاية، مذكرة ماجستير في الثقافة الشعبية سنتي (2006).

3: 26 / عن مجلة المأثورات الشعبية، ملاح المرأة في الحكاية الشعبية، ع 48، أكتوبر 97: 26.

3: ألف ليلة وليلة، ج 2، الليلة 434: 668.

4: المصدر نفسه، الجزء نفسه: 584.

يتصدره السحر والسبب في ذلك تلك الحضارات القديمة حسب قول عبد المالك مرتاض:" ذلك العهد كانت تسمه السحر، و القوى الغيبية، حيث إنّ قصور العلم يومئذ أحدث فراغا في الذهنية الشرقية الخصبه، التي أقبلت على السحر و الغيبيات لتكتمل بها صور الحياة"¹.

فعبد المالك مرتاض ينوه بأثر السحر في المجتمعات الشرقية بوجه عام، لأنه نتيجة إفرارات حضارات موعلة في القدم، اشتركت فيها كل الأمم من شعوب؛ مصر والهند، والفرس.

و تشكل الطبقية عنصرا مهما في حكايات " ألف ليلة وليلة"، وهي ليست حائلا في التواصل بين الشخصيات، و التعايش الطبقي.²

يتضح من ذلك أنه لا فرق بين أفراد المملكة، مثل حكاية " الصياد والعفريت" فالطبقية لم تمنع الملك من الزواج من ابنة الصياد، وتحقيق التعاون والمضي نحو المستقبل، و نجد أيضا التزاوج بين الإنس و الجن، و كان يتم خطف الفتيات الجميلات، و الفطنات من قبل الجن.

أما فيما يخص البناء الفني للحكايات فقد اعتمد على أسلوب متنوع امتاز بين الجيد و الرديء؛ فالأول من حيث متانة الألفاظ وقوة تعبيرها لبلوغ المعني المطلوب، و دقة الوصف، وكثرة السجع، أما الثاني تمثل في الأسلوب الركيك بعبارته الجريئة النابية عن الحشمة، ونسيجه المهلهل، وألفاظه العامية المخلة بالحياء، ولكن في العموم اتسم أسلوب القصص بالوضوح، والصرامة والتشويق، والبعد عن التعقيد، والتكلف.

و مهما يكن فإن حكايات "ألف ليلة و ليلة" ذاع صيتها في العالم، و لزالمتلقى اهتمام النقاد و المؤلفين، و الباحثين في هذا الأدب، لأنها تشكل أثرا خالدا وفريدا في الفكر الإنساني وكذا مصدرا من مصادر الإبداع الأدبي من رواية

1: ينظر تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية "جمال بغداد"، عبد المالك مرتاض:7.

2: ألف ليلة وليلة، ج 1، الليلة:3:16.

وقصة، و مسرح، و أبرات. نجد ذلك جليا عند بعض الباحثين مثل سهير القلماوي التي كتبت مجموعة قصصية " أحاديث جدتي " مستلهمة من أحاديث شهرزاد¹. وفي الأدب الغربي شكلت أيضا الليالي منبعا من منابع الإبداع، لا تزال تنهل منه هذه الكتابات "فغوته" تأثر بألف ليلة و ليلة، فحركت قريحته و جعلته يبدع: " فيكتب الليلة الثانية بعد الألف، حيث تأتي شهرزاد لزيارة الكاتب طالبة منه إنقاذها بقصة جديدة لأنّ الملك لم يعف عنها"².

و ألف "إدغار الأنيو" قصة قصيرة عن الليلة الثانية بعد الألف، فيصور لنا شهريار الذي يقتل شهرزاد، لأنها استمرت في القصّ فملّ و سئم، و اشتاق إلى النوم في اطمئنان³.

فتحت كذلك حكايات الليالي المجال أمام الأدباء و الروائيين، ليشقوا طريقهم في عالم الكتابة الروائية؛ فهذا فولتير: " الذي يعترف، و يقر بأنه لم يزاوّل فنّ القص إلا بعد قراءة كتاب ألف ليلة و ليلة أربع عشرة مرة"⁴.

يتضح من ذلك إنّ كتاب " ألف ليلة وليلة" أحدث هزة في مجال الكتابة والتأليف، حيث تسارع إليها أبرز أدباء العالم الغربي، بعدما ترجمها "جالان" إلى الفرنسية، و شددت اهتمام العرب، لأنه يمثل أشهر تراثها، فكان بذلك حقلًا للدراسة مما أسال لعاب الباحثين، وفتح شهيتهم من أجل التسلّل إلى الشرق، الذي في نظرهم عالم عجيب؛ يظهر ذلك جليا من خلال ميدانها الخصب الذي أغرى الباحثين في دراسة شخصياتها.

ومن تمّ فهي أسخي الفنون الأدبية التي حافظت لنا على تاريخ في الممارسات الحياتية في جميع الجوانب الثقافية، والاجتماعية، والأخلاقية، والحضارية؛ فقد

1: ينظر العربي مجلة شهري ثقافية يكتبها عرب، وزارة الإعلام، الكويت، العدد 632، يوليو 2011: 90.

2: ينظر الاغتراب في ألف ليلة وليلة، شريف بموسى عبد القادر: 13/ عن ألف ليلة وليلة، سهير القلماوي، رسالة دكتوراه دار المعارف القاهرة 1966 : 72

3: ينظر المرجع نفسه : 13.

4: ينظر ألف ليلة وليلة في الترجمة الفرنسية، حكاية " السندباد " أنموذجا فيدوح ياسمينه : 31.

رصدت لنا جميع فئات المجتمع بسلبياتها وإيجابياتها وجميع القيم الحضارية في العصور المتعاقبة.

2 - ملخص لبعض النماذج من الحكايات المتضمنة للسمات الحضارية.

إنّ كتاب "ألف ليلة وليلة" أروع ما أبدعه الفكر الإنساني، فشكّلت صفحاته بنيانا، نابع من الخيال، و استمد قوته من واقع الحاضر الملموس، الذي قامت برص أساسه الذكية الفطنة شهرزاد، التي استطاعت أن تثني شهريار عن قراره وهو الانتقام من كل فتاة يتزوجها قتلا لأنّ زوجته الأولى خانته مع عبد أسود.

ولعرض بعض الملخصات لحكايات الليالي، التي وردت فيها سمات حضارية، لا بد لنا أن نتوقف عند الحكاية الإطار، التي تولدت عنها هذه الحكايات.

❖ - الحكاية الأم: حكاية الملك شهريار.

هي حكاية فارس، و بطل ابن ملك ساساني، حكم الهند و الصين، ثم تولى الابن الملك وحكم هذه الجزائر لمدة عشرين عاما، و في إحدى الأيام اكتشف خيانة زوجته مع عبد من عبده فقتلها. ومن أجل اجتياز هذه الأزمة النفسية قرر أن يقتل كل فتاة يتزوجها بعد ليلتها الأولى، ودام ذلك التصرف ثلاث سنوات، و في يوم من الأيام طلب من وزيره البحث له عن فتاة يتزوجها، لكنّ المملكة خلت منهنّ، فعاد الوزير خانبا مهموما إلى بيته، و لما رأته ابنتاه شهرزاد و دنيا زاد سألتاه فأجابهما بالحقيقة، قررت شهرزاد تلبية مطلب الملك و تنفيس كربة أبيها فقالت له: " بالله يا أبت زوجني هذا الملك، فإما أن أعيش، وإما أن أكون فداء لبنات المسلمين وسببا لخلاصهن من بين يديه". أفكان لها ذلك، ومن أجل تنفيذ خطتها عازمت أن تخرفه كلّ ليلة بحكاية مفتوحة إياها بعبارة " بلغني أيها الملك السعيد" وتنهاي سردها للحكاية بعبارة " وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح"، وقد تنتهي الليلة ولا تنتهي الحكاية، مما يثير شوق شهريار

وفضوله في معرفة النهاية، وقد تزرع فيه ذلك من خلال تشويقه إلى حكاية أعجب من السابقة، ودامت على ذلك ثلاث سنوات.

أ. حكاية التاجر والعفريت.

هي حكاية تاجر ميسور الحال، كثير الترحال اشتد عليه الحرّ ذات يوم فجلس في ظل شجرة تقع في خلاء تسكنه الجنّ، ليتناول بعض غذائه و لما رمى بنواة تمر وقعت على صدر ولد عفريت فقتلته، خرج إليه العفريت الأب لقتله ولكن التاجر طلب منه أن يمهلّه سنة يوفي فيها ديونه، و يوصي أهله و يودعهم وعندما عاد إلى العفريت لتنفيذ الحكم مرّ به ثلاثة شيوخ، فكل واحد عرض على العفريت قصّ حكايته مقابل وهبه ثلث حياة التاجر فوافق، وبذلك استرجع التاجر حريته.¹

ب. حكاية الصياد والعفريت.

هي حكاية صياد فقير له زوجة وثلاثة أولاد، يخرج كل يوم إلى البحر ليصطاد فيرمي شبكته أربعة مرات فقط، عندما رمى الأولى اصطاد حماراً، في الثانية كان زيرا كبيرا و في الثالثة قوارير و شقافة، أما في المرة الأخيرة اصطاد قممقا من نحاس مختوم بختم سليمان عليه السلام، خرج من القممق عفريت أراد قتل الصياد، فقال له " أياكون هذا جزائي بعدما خلصتك من سجنك؟ فأبى العفريت إلا قتله، عندما اقتنع الصياد بأنّه لا مفر اهتدى إلى حيلة تخلصه من ذلك حيث طلب من العفريت أن يدلّه كيف اتسع له هذا القممق، وهو بهذا الحجم وبمجرد دخوله القممق، أغلق عليه الصياد وحاول رميه في البحر، فصاح العفريت وطلب العفو فقال له الصياد " تكذب يا ملعون مثلي ومثلك كالملك يونان و الحكيم دوبان (روبان)، (دويان).²

1: ينظر المصدر السابق، الجزء السابق : 8 - 10 .

2: ينظر المصدر نفسه، الجزء نفسه: 15 - 38 .

1- حياية الملك يونان و الحكيم .

كان ملك الفرس يونان مصابا بمرض "البرص"، عجز الأطباء عن مداواته، فدخل مدينته حكيم طاعن في السن اسمه دوبان، استطاع الحكيم بفضل علمه بالطب أن يصنع عقارا والذي بثه في صولجان الملك، مما جعله يتسرب إلى جسمه فشفى، فأغدق الملك الحكيم بالعطايا، و الهدايا، و جعله جليسا و أنيسا له. و كان للملك وزير حاسد، كره الحكيم و أراد به السوء، فحاول تحريض الملك على قتل الحكيم لأنه عدوه، وسوف يأخذ منه ملكه، فصدق الملك ذلك وقتل الحكيم¹.

2 - حياية المدينة المصحورة

بعد خروج العفريت من القمقم، أراد مكافأة الصياد فأخذه إلى بركة اصطاد منها سمكات ملونة، وطلب منه بيعها لملك تلك الديار، فأمر له بأربعمائة دينار، و عند طهيها احترقت بفعل صببية تخرج من جدار المطبخ، تتحدث معها ثم تنصرف، فبلغ ذلك الوزير و الملك الذي طلب حضور الصياد و معه السمكات، وحدث الشيء ذاته، و مرة أخرى طلب من الصياد إحضار السمكات، و طهيت على مرأى من الملك و إذا بعبد أسود يخرج من الجدار، و يفعل ما فعلته الصببية و في يده فرع شجر أخضر، أراد الملك معرفة حقيقة ما يحصل، فإذا به يرسل في طلب الصياد ليدله عن المكان الذي يصطاد منه، فخرج الملك متنكرا في تلك الناحية حتى عثر على قصر كبير، مفروش و في وسطه فسقية عليها أربع سباع من الذهب الأحمر تلقي الماء من أفواهها كالدر و الجواهر، عند تجول الملك سمع أنينا لشاب، اقترب منه ليستطلع الأمر، و يعرف ما يحدث عندما تقدم الملك نحوه بدأ يخبره بما وقع من ابنة عمه التي خانته مع عبد أسود و بمجرد علمه بذلك سحرت نصفه حجرا و أبقته على النصف الآخر إنسانا، و كذا المدينة جبالا و سكانها سمكا، فقرر الملك مساعدته إذ لحق بزوجة الشاب عندما أتت لزيارته، و اغتتم الفرصة وقتل العبد ولكنه بقي

1: ينظر المصدر السابق، الجزء السابق : 18 - 26.

يحتضر، عندما أقامت له قبة و بدأت تطيبه، تنكر الملك في صورته و طلب منها تخليص الشاب من السحر والمدينة على أنه العبد، وإن أنين الشاب يزعجه و بعد ذلك قتل الملك الزوجة بسيفه، وانتهى الشر، ثم عاد الملك إلى مملكته ومعه الشاب وتزوجا كلاهما من ابنتي الصياد الذي صار أغنى أهل زمانه.¹

ج - حكاية الحمال و الثلاث بنات.

كان هناك حمال فقير يسعى من أجل كسب الرزق، خرج كعادته فقابل فتاة دعتة لمرافقته و حمل مشترياتها، ثم تبعها إلى بيتها، وبعد ذلك حصل على أجرته. و قد رغب في البقاء مع بنات البيت فقبلنه بشرط ألا يتكلم فيما لا يعنيه، شاهد أموراً غريبة و أراد كشف سرّها ويكون بذلك قد خالف الشرط، و لكي ينجو من العقاب أمرته البنات بسرد حكايته، وبقي لسماع حكاية الآخرين.²

دخل الخليفة هارون الرشيد و وزيره جعفر البرمكي و سيفاه مسرور إلى منزل البنات بعد دخول الصعاليك الثلاث العور العين الشمال متنكرين بزي تجار فقد حصل لهم مثلما حصل للحمال بأن لا يسألوا عن شيء لا يعينهم، ولكنهم لم يقدرُوا على الصبر، لشدة غرابة ما رأوه فحاولوا السؤال عن ذلك، فغضبت الصبية و ضربت الأرض فانفتحت و خرج منها سبعة عبيد، أمرتهم بضرب أعناق الجماعة، و لكنها أمهلتهم ساعة حتى تعرف حالهم.³

1 - حكاية الصعلوك الأول.

هناك مملكتان لكل واحد ملك و ابن له. خرج ابن الملك (الصعلوك الأول) لزيارة مملكة عمه فطلب منه ابن عمه أن يمثّل لأوامره على أن يكرمه، فقاده إلى جبانة، وطلب منه ردّ التربة بعد هبوطه إلى داخلها رفقة فتاة فكان له ذلك، ثم عاد إلى القصر، وفي الصباح رجع إلى ذلك المكان لأنه أحس بالخوف على ابن عمه، إلا

1: ينظر المصدر السابق، الجزء السابق : 32 - 37.

2: ينظر المصدر نفسه، الجزء نفسه: 20 - 38.

3: ينظر المصدر نفسه، الجزء نفسه : 38 - 42.

أنّه لم يتذكر تلك التربة، وبقي على هذه الحالة سبعة أيام، وبعدها عاد إلى مملكة أبيه فوجد الوزير قد قتل أباه، واستولى على الحكم، ثم دار بينهما جدال انتهى بقلع عين الصعلوك الأول وأمر الوزير السيف بضرب عنقه خارج المدينة إلا أنّ الصعلوك استطاع الفرار، واتجه إلى مملكة عمّه، وأخبره بمكان ابنه و لما وصلا إلى المكان المزعوم وجدا الابن والفتاة فحما أسودا، وهما متعانقان، فقال الملك هذا عذابك في الدنيا، وبقي عذاب الآخرة. تعجب الصعلوك وسأل عمّه عن ذلك، فأجابه إنّ ابنه كان مولعا بحب أخته، وهو يمنعها عن ذلك، لكنهما وقعا في الخطيئة واتخذا المخبأ مكانا للقاء، فأحرقهما الله، فاتخذ الملك ابن أخيه ابنا له، وعادا إلى المملكة، وإذا بعساكر الوزير استولوا على الملك، ففر الصعلوك إلى مدينة السلام لعلّه يصل إلى أمير المؤمنين ليطلععه على هذا الأمر.¹

2 - حماية الصعلوك الثاني.

هو ابن ملك برع في شتى العلوم، طلبه ملك الهند، فخرج إليه رفقة جنده فاعترضهم قطار الطرق، فقتلوا جميعا ما عداه، فرّ مجروحا. دخل مدينة واتجه نحو دكان خياط، الذي سأله عن صنعته فأجابه بأنّه كاتب، و حاسب، و فقيه، فأخبره الخياط بأنّ صنعته كاسدة، واقترح عليه الاحتطاب وبيعه. وذات يوم، وهو في البراري عثر على مخبئ سريّ، دخل إليه، وإذا به ينتهي إلى قاعة وجد فيها صببية مليحة فسألها عن حالها، فأخبرته بأنّ عفريتًا خطفها ليلة زفافها، و عليه بالذهاب إلى حال سبيله، والنجاة بنفسه، عاد الفتى إلى الخياط الذي أخبره بأنّ شخصا يبحث عنه، و قد أتى له بنعله و فأسه، وبينما هما كذلك إذ بالعفريت حضر، وأخذه وطار به إلى مكان الصببية، و قال لها: اضربي عنقه، فقالت: كيف أضربه ولم أراه إلا اللحظة؟، ثم اتجه نحو الفتى و قال له: اضرب عنقها، فأجابه: كيف أضرب عنقها ولم أرها إلا اللحظة. قام العفريت بقطع أطراف الصببية وقتلها، ثم التفت وقال: لقد خاننتني وهذا جزائها، أما أنت فتمنى علي أي صورة أسحرك فيها؛ كلب

1: ينظر المصدر السابق، الجزء السابق: 43 - 47.

أو حمار أو قرد. فأجابه اعف عني كما عفا المحسود عن الحاسد. لكن العفريت أبى إلا أن يسحره على صورة قرد الذي قاده القدر في مركب إلى مدينة، ونتيجة فطنته أهدي إلى ملكها حيث اكتشفت ابنته أنه مسحور، وأعادته إلى حالته البشرية. أتى العفريت مرة أخرى، وأنب ابنة الملك على صنيعها ودارت بينهما معركة بينهما أسفرت عن موت العفريت والصبية وفقد الفتى عينه وإصابة الملك بحروق، فطلب هذا الأخير من الفتى المغادرة، لأنه تسبب في موت ابنته.¹

3- حكاية السلوك الثالث.

هو ملك محب للسفر، ركب يوماً ما سفينة رفقة عساكره، فقادتهم الرياح إلى جبل مغناطيسي، حيث هلك الركاب جميعهم إلا هو، فوجد نفسه فوق جبل، فسمع هاتفا يناديه ويقول له: ما الخلاص إلا بالقضاء على الفارس النحاسي بشرط أن لا يذكر اسم الله، لكنه ذكر ذلك وكبر، فرمي به إلى البحر، سبّح حتى وصل إلى البر، وصعد شجرة فإذا بمركب يرسو وينزل منه عشرة عبيد وشيخ أبيض الثياب، فكشفوا عن طابق ودخلوا إليه محملين بكل ما يحتاجه الساكن فلما خرجوا وابتعدوا في البحر نزل الفتى من الشجرة، وتوجه إلى ذلك المكان حيث وجد فرسا مسرجا ملجما مربوطا ففكّه وركبه وطار به إلى أن حطه على سطح وأنزله وضربه بذيله، فأتلف عينه. وبعد ذلك التقى بعشر شبان عور، طلب الجلوس إليهم فرفضوا وطردوه، فخرج من عندهم، وكتب الله له السلامة حتى وصل بغداد.²

4 - حكاية الخليفة وجعفر ومسرور:

التفتت الصبية إلى الخليفة، وجعفر، ومسرور، وقالت لهم: أخبروني بخبركم، فتقدم جعفر وحكى لها الحكاية، فلما سمعت كلامه قالت: وهبت بعضكم لبعض، فخرجوا وساروا في الزقاق، سأل الخليفة الصعاليك عن وجهتهم فقالوا: لا

1: ينظر المصدر السابق، الجزء السابق : 47 - 54.

2: ينظر المصدر نفسه، الجزء نفسه: 54 - 66.

ندري أين نذهب، وقال الخليفة: سيروا وبيتوا عندنا، وأشار إلى جعفر بأن يأتيه بالصعاليك والصبايا في الغد.

طلب الخليفة من الصبايا أن يخبرنه بالحق، فتقدمت الكبرى وبدأت تحكي له بقولها: إن هاتين الصبيتين من أبي غير أمي، ترك لنا الوالد خمسمائة ألف دينار، تزوجت كل واحدة منهما وأخذت ألف دينار، وسافرتا مع زوجيهما وغابتا مدة أربع سنين، ولكن زوجيهما خسرا وتركاهما، فجاءتاني في هيئة الشحاذتين، فأكرمتهما ولكنهما تزوجتا مرة أخرى وحدث الشيء نفسه، ثم رجعتا. بعد مدة أقنعتاني بالسفر معهما، وخلال سفرنا تاه المركب في البحر ودخل مدينة مسحورة، ممسوخة حجارة سوداء، دخلت البنت الصغرى إلى معبد سمعت تلاوة القرآن بصوت حسن، لم يصبه ما أصاب المدينة، فأرادت معرفة ما الحكاية؟ فأخبرها بأنه مسلم ابن ملك وملكة كانا يعبدان النار، وذات يوم سمع صوت ينادي ارجعوا عن عبادة النار وابدوا الواحد القهار، فلم يأبهوا له فجاء السخط والمقت من السماء فمسخت المدينة حجارة سوداء ولم يسلم إلا هو، فطلبت الصبية منه مرافقتها إلى بغداد، فكان لها ذلك، ثم لقيأ أختاها اللتان حسدتاها عليه وأضمرتا المكر لهما، فرمتاها والشاب في البحر، نجت هي وغرق الشاب، ولما وصلت إلى جزيرة أقبلت عليها حية يلاحقها ثعبان فخلصتها منه، عندها طارت الحية ونامت الصبية، ولما أفاقت وجدت عند رجليها جارية وإذ هي الحية التي أخبرتها كل متاعها إلى البيت وسحرت أختيها كلبتين، وأمرتها كل يوم ثلاثمائة سوط، إلا سحرتها مثلهما. قالت الصبية للخليفة: ومازلت أضربهما ولكن أشفق عليهما.¹

5 - - حكاية الصبية الثانية،

مات والدها وترك لها مالا كثيرا، ثم تزوجت، ومات عنها زوجها وترك لها كذلك ثمانين ألف دينار، ذات يوم دخلت عليها عجوز شطاء دعتهأ إلى عرس ابنتها، لكنها خدعة للاجتماع بأخيها كي يتزوجها فرأيا بعضهما ومالا قلب كل

1: ينظر المصدر السابق، الجزء السابق: 66 - 69.

واحد منهما للآخر. تزوجا، وأحضر لها مصحفا لتقسم عليه ألا تخونه، بعد شهر نزلت إلى سوق القماش دخلت دكانا ومعها العجوز، فإذا بصاحبه شاب مليح والذي طلب ثمن القماش قبلة، فرفضت الفتاة، لكن العجوز ألحت عليها وقالت: لا ضرر فيها، ولكن الشاب بعد أن قبلها ترك جرحا عميقا في خدها، وبعد عودتها إلى المنزل، لاحظ الزوج الجرح فأقسم على قتلها لولا استعطاف العجوز لها، ثم اكتفى بطردها، عادت الفتاة إلى منزلها القديم، وقامت العجوز بمداواتها، وبعد أن شفيت أرسل زوجها عبيدا لضربها، فتركوا أثارا بالغة في جسمها، ولما شفيت عادت إلى المنزل الذي حدث لها فيه ذلك فوجدته خربا والزقاق مهتما. توجهت إلى أختها من أبيها رفقة الكلبتين والصبية الدلالة.¹

أرسل الخليفة في طلب العفريئة التي سحرت الصبيتين كلبتين، بعد أن أحرق شيئا من شعرها. حضرت العفريئة وأعدت الصبيتين إلى طبيعتهما البشرية، ثم أخبرته عن الشاب الذي ضرب الفتاة ذات الجرح في خدها، فإذا هو الأمين ابنه الذي أعاد تزويجه بها وزوج الصعاليك بالصبية وأختها اللتان كانتا مسحورتين كلبتين، وتزوج هو بالدلالة.²

د - حكاية الوزير نور الدين مع شمس الدين أخيه:

نور الدين وشمس الدين ابنا وزير سلطان مصر، مات والدهما، فقربهما السلطان منه، وصار يأخذ كل مرة واحدا منهما للسفر معه، وذات ليلة تحدثا في قضية فاختلفا في جانب المهر فسار شمس الدين صباحا وعزم نور الدين على الرحيل تجنبا للمشاكل مع أخيه، صار ينتقل بين المدن حتى استقر بالبصرة، قربه السلطان منه، بعد أن حكى له قصته. بعد عودة شمس الدين قلق لغياب أخيه، وحدث أن تزوجا في ليلة واحدة، ورزق شمس الدين بنتا، ونور الدين ولدا سماه حسن، بعد وفاة نور الدين، تقلد ولده مكانه، وذات يوم أتاه في المنام خرج لزيارة قبره نام هناك فجاءته جنية تعجبت من حسنه وجماله ثم أحضرت عفريتا، وقالت له: رأيت حسنا وجمالا

1: ينظر المصدر السابق، الجزء السابق: 76 - 81.

2: ينظر المصدر نفسه، الجزء نفسه: 81 - 88.

كهذا فقال لها: إن هذا الجمال يشبه جمال بنت شمس الدين في مصر، التي طلبها السلطان للزواج فرفض لأنه سيزوجها لابن أخيه. غضب الملك وأقسم بتزويجها من أقل خدمه، وكان أحدا. وفي يوم زفاف بنت شمس الدين من الأحب .

حمل حسن البصري من قبل العفريت وجيء به إلى مصر، وبالضبط في مجلس العروس ثم أفاقوه، وأعطوه شمعة، وقال له امش بين الجمع بعد أن ألبسوه ثيابا فاخرة، ثم تزوج ابنة عمّه مكان الأحب، وفي الصباح أعاده العفريت إلى دمشق نائما على باب المدينة، فعجب الناس من حاله عندما قص عليهم حكايته بأنّه بات في مصر وأصبح في دمشق.

دخل دكان طبّاخ الذي أحبه وجعله ابنا له، فدار بينهما حديث، وأخبر حسن بدر الدين الطباخ بحكايته فتعجب، وقال له: حديث غريب أقعد عندي حتى يفرج الله. أما ست الحسن فقد أنجبت ذكرا سمته عجيب، فنشأ في حضن جده شمس الدين حتى ظنّ أنّه والده، ويوما عير الصّبي بأن لا أب له، فعاد باكيا إلى أمّه فبكت وكذلك جدّه فعزم هذا الأخير على البحث عن ابن أخيه. خرجوا متوجهين إلى دمشق، وإذا بهم نزلوا عند طبّاخ أكلوا عنده، فأعجب هذا الأخير بالولد ولحقه والطواشي، وعندما انتبها إليه يلاحقهما ضربه الطواشي بالحجر فسقط مغشيا عليه ظنا أنّه سارق. أما من أمر شمس الدين فقد وصل إلى البصرة، للبحث عن ابن أخيه حتى دخل على سلطانها وأخبره بقصته، فأجابه السلطان بأن أخاه نور الدين كان وزيره، وقد توفي منذ خمسة عشرة سنة، ولكن زوجته لازالت علا قيد الحياة فطلب الاجتماع بها وأخذها معه إلى دمشق، أما من أمر عجيب فقد خرج إلى الطباخ مرة أخرى وتناول عنده الطعام، وعند عودته إلى البيت وجد الطبخ ذاته عند جدته التي عاد بها شمس الدين. فعاب عليها سوء طبخها ورفض تناولها، فغضبت منه وقالت: هذا الطبخ لا يحسن صنعه إلا أنا وابني حسن، أين أكلته فصارت تلك مشكلة وصلت آذان السلطان الذي طلب حضور الطاهي الذي أكلوا عنده بعد تقييده ووضعه في صندوق وهدم مكانه، ثم عادوا به إلى مصر و أعدوا له غرفة مثلما

كانت ليلة زفافه، واجتمع مع أمه وزوجته وولده، وكآته في حلم، تقدم شمس الدين إلى حسن وقال له: اعلم يا ولدي بأنه ظهر الحق وبان ما كان مختفيا أنت ابن أخي، وما فعلت ذلك حتى تحققت أنك أنت الذي دخلت على بنتي تلك الليلة بسبب تلك العمامة والورقتين التي كتبتها بيدك والتي كتبها والدك أخي. فرمى حسن نفسه عليه وبكى من شدة الفرح.¹

هـ - حكاية عمر النعمان وولديه شركان وضوء المكان:

كان بمدينة دمشق قبل خلافة عبد الملك بن مروان، ملك يقال له عمر النعمان نفذ حكمه في كل البلاد من المشرق إلى المغرب، وقد أشاع بين أهلها العدل والأمان. كان له ولد قد سماه شركان، قهر الشجعان وأباد الأقران، وكان للملك ثلاثمائة وستين سرية، بني لهن اثني عشر قصرا، وجعل في كل قصر ثلاثين مقصورة. رزق من جارية اسمها صفية بولدين هما: ضوء المكان ونزهة الزمان. صادف شركان الملكة إبريزه التي تميزت بالفروسية والتي أعانته في حربه ثم عادت معه إلى دياره. كانت الملكة تحب شركان لذلك رفضت الإذعان لوالده. ولكنه تمكن منها بفضل حيلة دندان فعلمت منه، وعند علمها هربت رفقة جارية اسمها مرجانه و عبد أسود، وفي الطريق وضعت إبريزه ولدها، ولكن العبد قتلها بعد ما صدته. لما عمل أهلها بذلك قررت جدتها ذات الدواهي الانتقام من عمر النعمان وولده شركان. أما عن ضوء المكان وأخته نزهة الزمان، فقد خرجا للحج وزيارة بيت المقدس ولكن القدر كان ضدهما، حيث مرض ضوء المكان، وخرجت أخته لتبحث له عن وسيلة لكسب القوت فاعترضها قطاع الطرق ومنهم سيدهم الذي باعها إلى تاجر بمائة دينار، بدوره باعها إلى السلطان شركان بثلاثمائة دينار، وبعد ذلك تزوجها وهو لا يعلم أنها أخته. أراد شركان أن يتأكد من علمها فامتنحها في جميع العلوم، وكان ذلك بداية بعلم السياسة، فأجادت حتى اندهش لها الحاضرون، وكذا باقي العلوم. وضعت نزهة الزمان بنتا سميتها "قضى فكان"، فرح شركان بذلك

1: ينظر المصدر السابق، الجزء السابق: 88 - 120.

وانحنى ليقبلها فلاحظ في عنقا خرزة، سالها من أين لها تلك و نعتها بالجارية، فقالت سيّدتك، أنا ابنة الملك عمر النعمان، فارتعش شركان وعلم أنه تزوج أخته، فطلقها وزوجها بحاجبه. أرسلها إلى أبيه بطلب منه لمناظرة جواريه الخمس العالمات، وإثر رحيلها إلى دمشق التقت بأخيها ضوء المكان الذي كانت قد تركته مريضا في فلسطين، وساعده الوقاد بعدما وجده مرميا بجانب الحمام مغشيا عليه ولما دخلا المدينة وجدا أباهما قد مات قتلا من طرف شواهي ذات الدواهي. تولى الحاجب الملك بعد ذلك، وتزوج ضوء المكان بجارية وأنجبت له ولدا سمي "كان ما كان". تحالف الولدان مع الوزير دندان، وخرجوا لحرب الروم، فكانت الغلبة للمسلمين، ولكن شواهي ذات الدواهي لم تستسلم، بل دبّرت خطة مع جنود الروم لقتل شركان، فتمكنت من ذلك بعد تنكرها، في صورة شيخ متعبد، وبعد انفرادها به قتلته، ثم بعثت مكتوبا إلى ضوء المكان تعترف فيه بأنها قاتلة الأب والأخ معا.

أقسم ضوء المكان بالانتقام لهما. ولكثرة الهموم جلس الجمع للمسامرة، فكان الوزير دندان أول من بدأ بالرواية، فسرد حكاية العاشق والمعشوق والتي تتخللها قصة عزيز وعزيزة وبعد مدة عادوا إلى الديار أين تم تولية الوقاد على دمشق والشام.

وبعد إعداد العدة، وتنظيم الجيش خرج ضوء المكان لحرب الروم، وانفصل الوزير دندان عن الحاجب الذي حاول قتل كان ما كان بسبب حبه لابنة عمّه قضي فكان، وانضم إلى نزهة الزمان وابنتها وكان ما كان ولحقوا بضوء المكان، وفي طريقهم وقعوا في أسر الملك "رمزان"، ولولا مرجانه التي كشفت له السر - أنه ابن ابريزة من الملك عمر النعمان، وهؤلاء الذين أسرهم أهله - فأخذهم إلى ضوء المكان وتحالف معه على قتل "شواهي ذات الدواهي"، فكان ذلك بخطة من رمزان الذي ما إن رآته حتى هرعت لمعانقته فالتف حولها المسلمون، وقبض عليها ولتكون عبرة لمن يعتبر صلبت على باب المدينة. وبعد انتهاء الحرب والعودة إلى استئناف الحياة الطبيعية، كافأت نزهة الزمان التاجر الذي ساعدها أيام العسر

في فلسطين، في حين انتقمت من البدوي الذي خطفها، وقتل رمزان العبد الأسود الذي قتل إبريزه والدته، كما عاقب كان ما كان الحمال الذي رمى ضوء المكان والده بجانب الحمام عوض أخذه إلى المارستان.¹

و - حكاية علي شار مع زمرد الجارية:

علي شار تاجر ابن تاجر، توفي والده بعدما أوصاه عدة وصايا، من بينها حفظ ماله لكنه أنفق حتى أفلس، اشترى جارية اسمها زمرد بعدما أقرضته المال وكانت ذات علم ومعرفة ساعدت علي شار بأن تقوم بطرز الستائر على أن يقوم هو ببيعها، وخلال سنة أصبح تاجرا كما كان، ولكن زمرد تم خطفها من طرف النصراني الذي أدخله علي شار بيته من أجل شربة ماء لكن النصراني خدره وأخذ الجارية إلى داره وقام بتعذيبها، ولما أفاق علي شار علم بالأمر وبحث عن الجارية واثّر ذلك التقى بعجوز عرضت عليه المساعدة، تمكنت من معرفة مكان زمرد، فأعلمتها أن عليا سوف يأتي لإنقاذها ليلا. أتى علي تحت القصر ولما أبطأت في الخروج عليه نام، فكانت مخطوفة من طرف سارق بعد أن سرق عمامة علي الذي أخذها إلى أمه وكان اسمه جوان الكردي.

احتالت زمرد على أم جوان وخرجت إلى البرية إلى أن وجدت نفسها في مدينة ولآها أهلها سلطانا عليهم ظنا منهم أنها رجل. أنفقت على الفقراء وصارت تقيم على رأس كل شهر وليمة يأكل منها كل الفقراء وعابري السبيل، ولكي تقع على خبر علي شار، ولما هلّ الشهر الثاني، جرت العادة بمد السماط وجلوس زمرد تشاهد الناس يأكلون، فإذا بأخ النصراني جالس على صحن الأرز ، ولما رآته أمرت بإحضاره إليها فسألته عن اسمه وصنعتة فأنكر ولما ضربت خط الرمل عرفت حقيقته وأمرت بضرب عنقه، وأن يحرق لحمه وعظمه. في الشهر الثالث حدث الشيء نفسه، وكان دور جوان الكردي السارق الذي وقع في العقاب نفسه، وفي الشهر الرابع جاء دور النصراني الذي ضربها وعذبها، فكان

1: ينظر المصدر السابق، ج: 1، 243 - 398 ، ج 2 : 4 - 147.

مصيره مثل سابقه، وفي الشهر الخامس أقبل على السماط علي شار الذي تركته يأكل حتى أنهى طعامه وطلبت حضوره أمامها فسألته عن اسمه وصنعتة، فأجابها بالحقيقة وبعدما ضربت تخت الرمل قالت له: صدقت وأمرت جندها بإدخاله الحمام، ويذهب به إلى قصرها وفيه كشفت له عن نفسها ففرح بلقائنها، وخرجت معه إلى بلادهما، وطلبت من سكان تلك المدينة باختيار من يحكمهم.¹

ز - حكاية الجواري المختلفة الألوان:

طلب المأمون من نديمه محمد البصري، أن يحدثه فقال: أبي شيء سمعته أم بشيء عاينته فقال المأمون: بالأغرب منهما، فحكى له إن رجلا من أرباب النعم، له من الجواري مختلف ألوانها " بيضاء، سوداء، صفراء، سمراء، سمينة، هزيلة"، وقد أطربته كل واحدة منهن بجميل الشعر، ولما انتهين قلن له أنصف بيننا فطلب من كل واحدة أن تشير إلى الأخرى بدليل من القرآن لمدح نفسها و ذم نقيضتها.

افتتحت الجلسة بالبيضاء مشيرة إلى السوداء، فمدحت البياض أولا مستشهدة بالقرآن والأبيات الشعرية، والحكم، ثم ذمت السوداء، وأفاضت في ذلك حتى قال سيدها: اجلسي ففي هذا القدر كفاية، ثم قامت السوداء، وفعلت مثل سابقتها حتى أوقفها سيدها، ثم جاء دور الهزيلة والسمينة فمدحت كل واحدة نفسها و ذمت الأخرى، لتختم الجلسة بالصفراء والسمراء ففعلتا مثل سابقاتها.

سمع المأمون حديث محمد البصري فأعجب بذلك، وبعثه لشراء الجواري الست، لكنه عاد خائبا لأن سيدهن مغرم بهن و لا يريد بيعهن. مرة أخرى بعثه بستين ألف دينار ثمن لكل واحدة منهن، فوافق سيدهن إكراما لأمير المؤمنين ولكنه لم يطق بعدهن، وكتب إلى المأمون يشكو لوعة فراقهن، فأعادهن إليه و عشن معه.²

ح - حكاية أنس الوجود مع محبوبته الورد في الأكمام:

1: ينظر المصدر السابق، ج 3: 71 - 102.

2: ينظر المصدر نفسه، الجزء نفسه: 116 - 127.

هي حكاية الورد في الأكماء بنت الوزير إبراهيم، التي تميزت بعقل وافر وأدب باهر أحببت شابا اسمه أنس الوجود، فأرسلت إليه رسالة و لما علم والدها بذلك حبسها في جبل الثكلى و كان يزورها كل سنة حاملا معه مؤونتها، و لما قرأ أنس الوجود أبيات شعرية كتبتها على باب حجرتها خرج للبحث عنها، و عند معرفة مكانها كانت هي قد فرّت منه، حيث أوصلها صياد إلى مدينة الملك درباس الذي رقى لحالها بعدما حكّت له حكايتها ووعدها بالبحث عن أنس وإحضاره إليها، إلا أنه كان قد خرج للبحث عنه الوزير إبراهيم والدها، والتقى مع درباس في جبل الثكلى دون أن يجد ابنته هناك. أخذ الملك درباس أنس الوجود معه ليلاقيه بالورد في الأكماء وعقد قرانهما، فبعث رسولا لإحضار الوزير إبراهيم والملك شامخ لحضور الزفاف، ولكن هذا الأخير أبى إلا أن يكون الحفل في مدينتهما.¹

ط - حكاية الجارية تودد :

يحكى أن رجلا من بغداد ميسور الحال لم يرزق بولد، فتضرع لله و نذر وصام النهار وقام الليل، ودعا ربه فاستجاب دعاءه. حملت امرأته وولدت له ولدا ذكرا. كبر، ونشأ، وترعرع وتعلم القرآن العظيم، وفرائض الإسلام، وأمور الدين القويم، والخط، والشعر والحساب، والرمي بالنشاب.

مات الوالد وخلف مالا كثيرا لولده، لكنه أنفق و أسرف و بذر حتى ذهب المال و قعد الحال و لم يبق له إلا جارية ليس لها نظير في الحسن الجمال، و البهاء والكمال، والقدر والاعتدال و هي ذات فنون و آداب و فضائل تستطاب، فقد فاقت أهل عصرها و أوانها وصارت أشهر من علم في افتتانهما، وزادت على الملاح بالعلم والعمل. أشارت على "أبي الحسن" سيدها بأخذها إلى الخليفة هارون الرشيد، ويطلب منه عشرة آلاف ثمنها لها ، فإذا استكثر الخليفة ذلك يشير إليه تجريبها واختبارها. طلبت الجارية تودد من الخليفة أن يحضر جميع الفقهاء، والحكماء، والأطباء والمنجمين، و النظام فكان لها ذلك.

1: ينظر المصدر السابق، الجزء السابق : 156 - 214.

ناظرها أولا الفقيه، فصار يسألها و هي تجيب دون تردد، ثم جاء دورها فسألته مسألة واحدة عجز عن الإجابة عنها، فأشهد الخليفة الله و الحاضرين على أنها أعلم منه، فنزعت ثيابه و خرج خجلا، و بعد ذلك جاء دور الفقيه الثاني فسألها عن كل ما خطر بباله، فلم تعد الإجابة بل عدمها هو لما سألته، فصار عليه ما صار على سابقه، ثم جاء دور الطبيب فسألها في جميع المسائل الطبية و هي تجيب دون إحراج، ثم سألته فأخفق في الإجابة، وكان نتيجة ذلك أن لحق به ما لحق بسابقه، ثم جاء دور المنجم فلقى المصير نفسه، وكذلك النظام، فقد غلبتهم الجارية جميعا. في الأخير سألتها الخليفة إن كانت تعرف شيئا عن الموسيقى، والطرب فأجادت وغنت و أطربت الجميع حينها أمر الخليفة بإحضار المال و زاد سيدها مائة ألف دينار ثم قال: تمن علي يا تودد، فطلبت أن يردها إلى سيدها أبي الحسن، و بعد ذلك جعله نديما له بمرتب ألف دينار كل شهر.¹

ي - حكاية علاء الدين أبي الشامات:

ولد علاء الدين بعد طول عناء والديه، و خوفا عليه جعلاه في طابق، و لكن بعد ما كبر طلب من والده أخذه إلى سوق التجار، و لما رأوه طالبوا والده بوليمة، و كان من بين الحضور مجوسي يضمّر الشرّ لعلاء الدين، حيث حرض أصدقاءه أن يرغمونه على السفر معهم طلب علاء الدين من والديه السماح له بالسفر بعد طول عناء وافقوا على ذلك.

في الطريق اعترضهم قطاع الطرق فقتل الجميع ما عداه و المجوسي، سار علاء الدين حتى وصل إلى مسجد فدخله و استكان فيه، سمع جدالا بين رجل يسمى "اختيار" و ابن أخيه حول ردّ زوجته إليه، ولكنه كان قد طلقها ولا بد له من محلل فوق نظره على علاء الدين واتخذة محللا لابنته، لكن ابن أخيه أدرك أنّ زوجته ما إن ترى الشاب لا تفارقه، فاحتالت عجوز له بأن أوهمت علاء الدين و العروس مصابان كلاهما بالجذام، لكن الحقيقة كشفت و تزوجا. في الصباح أتى رسول

1: ينظر المصدر السابق، الجزء السابق : 215 - 257.

القاضي ليأمر علاء الدين بالحضور وتطبيق زوجته، كان جوابه بالرفض وقال: كيف أزوج عشاء وأطلق في الصباح؟ حينها طلب والدها مهرها منه، طلب علاء الدين إمهاله ثلاثة أيام، فأمهله القاضي عشرا، ساعده هارون الرشيد في دفع المهر، جزاء ما لقي منه من كرم أثناء لجوئه إليه رفقة وزيره و سيافه متكرين بزي تجار.

أكرم علاء الدين غاية الكرم حتى أصبح شاه بندر التجار وتقلد مناصب عدة بين يدي الخليفة وذات ليلة كان علاء الدين ينادم زوجته، و إذا به يسمع صوتا وهو يقضي حاجته، عاد مسرعا فوجد زوجته ميتة، حزن لفراقها وانقطع عن الديوان، و بعد مدة وهب له الخليفة جارية تسمى قوت القلوب من أجل التفرج عنه.

في يوم من الأيام خرج علاء الدين رفقة الوزير جعفر إلى سوق الجواني فاشترى جارية تسمى "ياسمين" والتي كان ابن الوالي "حبظلم بظاظه" يريد شراءها، فمرض لفقدانها وحزنت أمه عليه. جاءتها يوما عجوز أم "أحمد قماقم السراق" الذي كان قد سجنه الوالي وطلبت منها مساعدتها بأن تتشفع لابنها عند الوالي لإطلاق سراحه، وفي مقابل ذلك تعين على شفاء ولدها بإعادة الجارية ياسمين إليه. دبرت العجوز حيلة بأن يقوم ابنها بسرقة لوازم حكم الخليفة، ليتم اتهام علاء الدين بذلك، نجحت خطة العجوز، و اتهم علاء الدين، و حكم عليه بالشنق لكن أحمد الدنف - مقدم الشرطة- أنقده من ذلك، وطلب منه الخروج إلى الإسكندرية إلى أن يجد له مخرجا. أخذ حبظلم بضاضا ياسمين، إلا أنها لم تسمح له بالاقتراب منها فمات، وعملت الجارية معاملة الخدم، لكنها لاقت منهم عطا ورقة بسبب حملها. انقضت الأشهر فرزقت بولد سمته "أصلان" حيث تربى في حضن الوالي خالد.

كبر أصلان، وصادف يوما أن خرج مع أحمد قماقم السراق، الذي حكا له قصته مع علاء الدين وهو في حالة سكر، عاد أصلان إلى أمه وسألها عن اسم والده فأجابته إنه الوالي خالد في حين أخبره أحمد الدنف بالحقيقة، و بأنه ابن علاء الدين، ثم

ألبسه لباس الحرب و أدخله على الخليفة ليظهر شجاعته إليه، فقال له الخليفة: تمنى على يا أصلان فأجابه أخذ ثار أبي.

أما ما كان من أمر علاء الدين فقد ركب سفينة أوصلته إلى الملك "يوحنا"، الذي كان يقتل كل من جاءه من الإسكندرية إلا أنه نجا بفضل عجوز، التي أتت لطلب خادم للكنيسة. عندما أخذته العجوز إلى الدير للقيام بأعمال التنظيف و الطبخ رأى زوجته العودية، التي ظن أنها ماتت رفقة ابنة الملك، التي وعدتها بأن تردها إلى زوجها بشرط أن تكون ضررتها.

و عند اللقاءهما بعلاء الدين، عرضتا عليه الأمر رفضها لأنها نصرانية، ثم تبين له أنها مسلمة منذ ثمانية عشر سنة، ذهب النصرانية ابنة الملك يوحنا رفقة علاء الدين و زوجته العودية إلى الإسكندرية بعد ما رفض والدها الدخول في الإسلام والتخلص منه، أين تم اللقاء بأحمد الدنف الذي أخبر علاء الدين بأن الخليفة يطلبه فقال بعد زيارة أبي و أمي. عقد الخليفة قران علاء الدين على حسن مريم، فأصبح له بذلك ثلاث نساء، و التقى بابنه أصلان الذي ولي رئيس الستين.¹

ك - حكاية الطيور:

يحكى إن طاووسا اتخذ شجرة مأوى له ولزوجته، ثم جاءت بها بطة وهي خائفة أشد الخوف من ابن آدم، وأنها رأت في منامها شخصا يقول لها: احذري ابن آدم، وكذلك شبل، و حمار وحصان، و جمل، و كلهم خائفون منه، فتقدم الشبل وقال: ابقوا حتى أريكم ما أنا فاعل به.

جاءه نجار حاملا ألواح، فسأله عن وجهته فأجابه إلى وزير والدك" الفهد"، من أجل أن أصنع له بهذه الألواح مأوى يحميه من ابن آدم، فقال له الشبل: أنا أولى به، فرد عليه النجار قائلا: لكن الفهد هو من طلب ذلك قبلك، فأصر الشبل على النجار أن يكون بيته أولا.

1: ينظر المصدر السابق، ج 2 : 354 - 401 ، ج 3 : 12 - 11.

صنع النجار البيت للشبل وطلب منه تجريبه، وما إن دخل فيه حتى أغلق عليه النجار وقال له: "هيهات ينفع الندم" وبعد ذلك حفر له حفرة وأحرقه.

لا تزال البطة والطاووس تتحدثان حتى رأتا غبرة عظيمة، وإذا بظبي أقبل نحوهما، وبقي معهما، وبعد ذلك رست سفينة كانت تائهة، نزل منها ركابها إلى البرية، وبسبب ذلك فزعت الطاووس وطارت وتاه الظبي، أما البطة فقبض عليها وأخذت إلى السفينة.

عادت الطاووس والظبي فحزنا لفقدان البطة، وقال الظبي: إنه مكر ابن آدم أما الطاووس فقالت: ما أهلك البطة سوى تخليها عن التسييح.¹

ل - حكاية الثعلب مع الذئب وابن أوى:

كان الذئب للثعلب قاهرا، فذات يوم نصحه الثعلب بالرفق و ترك الفساد فربما تسلط عليه ابن آدم، لطمه الذئب حتى أغشي عليه، وعندما أفاق تبسم واعتذر فسامحه الثعلب، ولكنه لم ينسى ما فعله به، فرأى أن يوقعه في حفرة في بستان، وعند سقوطه فيها بدأ يتذلل، ويطلب الصفح من الذئب، وأنه قد تاب عن أعماله السيئة فقال له الثعلب: قد وقع مثلما حدث للباز، والحجل وقص عليه قصتهما، بأن الباز جرى وراء حجل فاختربا هذا الأخير في وكره، لكن الباز لحق به وقال له: أحضرت لك حبا، فصدقته الحجل و خرج من وكره فكان مصيره الهلاك.

لا يزال الذئب يستعطف الثعلب و يقول: " إن الصديق الشفيق خير من الأخ الشقيق" ثم أضاف بقوله: إنه لو نجا لتاب و صعد إلى الجبل وزهد الدنيا سمع الثعلب ذلك فأراد أن ينجيه فسحبه الثعلب إلى جهته، فسقط معه وأنبه قائلا: " من ينقدنا و أنا بجانبك"، فكر في حيلة لانقاد نفسه، و هي أن يصعد فوق أكتاف الذئب للخروج على أن يأتي بمن يخلصك ولما خرج الثعلب التفت إلى الذئب

1: ينظر المصدر السابق، الجزء السابق : 147 - 158.

قائلا: هيهات يا ذئب " فموت الفاجر راحة للناس و تطهير للأرض". كان قتل الذئب على يده، لما أخبر الناس بوقوعه في الحفرة.¹

م - حكاية الخليفة هارون الرشيد مع أبي الحسن العماني:

أصيب الخليفة هارون الرشيد بالأرق ، فاستدعى وزيره جعفر وقال له: جنني بالذي يسليني فأشار عليه بدخول الحمام، فقال: فعلت و لم يزل عني، فقال جعفر ننزل البحر علنا نسمع ما لم نكن سمعناه أو نرى ما لم نره، فخرجا رفقة مسرور السيف وأبي نواس في زي التجار قاصدين مكانا يسمى " قرن الصراط"، و لما وصلوا سمعوا صوتا شجيا لصبية وهي تغني اقتربوا من الدار و طرخوا الباب ففتح لهم شاب مليح، أدخلهم، وأكرمهم وبعد اكتفائهم طلبوا صاحبة الصوت، فجيء بها وإذا هي جارية كأنها البدر، جلست إلى الجماعة فغنت و بكت فبكى الحاضرون، قال الخليفة: إنها والله مفارقة، فقال صاحب الدار: إنها ثاكلة لوالديها قال الخليفة: بل محبوبا ثم نظر إلى صاحب الدار، فوجد فيه اصفرارا فسأله عن سبب ذلك فرد عليه صاحب الدار: أما تعرفنا؟، فأخبره الخليفة بأمرهم، فحكى صاحب الدار بأنه ابن تاجر، توفي والده، وترك له مالا كثيرا و ثلاثين مركبا أجزتها ثلاثين ألف دينار وكان والده كريما علمه أنواع العلوم. زاره يوما أحد شركاء والده في التجارة ببايوان فواكه، سأله عن بلده فقال بغداد، ومن كثرة وصفه لها اشتهى زيارتها، فتم له ذلك و خرج قاصدا إليها حتى وصل قرن الصراط، فرأى شيئا عليه ثياب جميلة تفوح منه رائحة طيبة، سأل عنه فأخبر بأنه طاهر بن العلاء، ما دخل أحد عنده إلا أكرمه غاية الكرم، فأقسم بالدخول عليه.

دخل الشاب على الشيخ فقدم له الطعام، و لما رأى ابنته أعجب بها وطلبها للزواج فوافق الشيخ بشرط؛ أن يكون مهرها كل يوم خمسمائة دينار مدى الحياة فقبل الشاب ذلك حتى ذهب ماله كله، حينها أخبر زوجته، فقالت له: أعطيك من مالي و أنت تعطيه لوالدي، استمر ذلك مدة من الزمن، ويوما ضربت الزوجة

1: ينظر المصدر السابق، الجزء السابق : 161 - 173.

جاريته، فكشفت سرها لأبيها انتقاما منها، فطرد الشيخ الشاب، الذي توجه إلى البصرة، فلقى بقالا كان صاحباً لوالده، حيث أنفق عليه و شغله عنده حتى جمع مائة دينار، وذات يوم خرج إلى مركب لشراء ما فيها من لؤلؤ، لكن ماله لم يكفيه، كان صاحب الجواهر كريماً فباعه كل ما لديه بمائة دينار، ومن تلك الجواهر قرص التعويذة الذي أراد أحد شراءه بعشرين ديناراً، فلم يرد عليه، فصار الرجل يزيد في الثمن حتى بلغ ثلاثين ألف دينار، فقال له المشتري: يا مسكين لو أخرجت البيع لوصل ألف دينار. فقال الشاب للخليفة: فاصفر وجهي وهو على ذلك إلى اليوم، قال الخليفة: وما سرّ القرص؟ فأجابه بقوله: اعلم يا أمير المؤمنين إن لملك الهند بنتاً، كان بها داء الصداع، فاحترت الحكماء في شفائها فقلت له: إنني أعرف رجلاً في بابل يسمى " سعد الله البابلي " أعرف بهذه الأمور فأرسلني إليه و أعطاني قطعة من العقيق، فأخذتها إلى الشيخ، فعمل منها قرص التعويذة وكتب عليه مجموعة من الطلاسم، فأخذته إلى الملك فوضعه في عقد وألبسه في عنق البنت فشفيت من دائها. ومرة كانت مع الجوّاري قرب البحر يمرحن، مدت إحدى الجوّاري يدها إلى عنق الصبية عن غير قصد، فانقطع العقد وسقط القرص إلى البحر، فعاد المرض إلى ابنة الملك فبعث الملك إلى الشيخ البابلي ليصنع له آخر، لكنه وجده قد مات فطلب من كل من يجد ذلك القرص يكرمه حتى وجد عند أبي الحسن، فاصفر وجهه من ذلك اليوم، ثم عاد إلى قرن الصراط، و سأل عن زوجته وأبيها، فأخبر أنها مرضت من يوم فراقه لها، و إن والها يبحث عنه، ولما برأت عادت إليها العافية وعاش معها، أما هو طلبه الخليفة بعدما عاد إلى القصر وأعطاه مالا كثيراً و قال: أهذا أقل من ثمن قرص التعويذة فقال الشاب: لا؛ بل أكثر بكثير وعاد الدم إلى وجهه، وخرج فرحاً وسأله الخليفة ألا ينقطع عنه.¹

1: ينظر المصدر السابق، ج 4 : 599 - 607.

ن - حكاية جودر ابن عمر التاجر و أخوه:

قسم عمر التاجر ماله بالتساوي على أولاده الثلاثة، وزوجته قبل وفاته، و لكن الأخوين لم يرضيهما هذا التقسيم، و اشتكيا أخيهما جودر لدى القاضي، فطال النزاع بينهم مدة من الزمن، حتى فقدوا كل مالهم، امتهن جودر حرفة الصيد، ليعول أمه و نفسه، ويوما ما وهو بجانب بركة ماء، جاءه مغربي على بغلة فقال له: قيدي وارمني في البركة فإن خرجت يداي ارم علي الشبكة واسحبي، وإن خرجت رجلاي فإنني ميت، وبعد ذلك اذهب بالبغلة إلى اليهودي شمعون وخذ منه مائة دينار، وفي اليوم الثاني حدث الشيء ذاته، أما في اليوم الثالث عندما رمى جودر المغربي أخرج يديه، فرمى الشبكة وسحبه، وكان قد سحب معه سمكتان. طلب جودر من المغربي قص عليه حكاية ذلك، فقال له: نحن أربعة إخوة أنا عبد الصمد، و عبد الأحد و عبد السلام، واليهودي مالك، حيث كان لنا والد يسمى عبد الودود خلف لنا أموالا طائلة وكتاب أساطير به مفتاح الكنوز، اختلفنا عليه فشكونا إلى جدنا فقال: لا يأخذه إلا من عالج كنز الشمندل ويأتيني بدائرة الفلك، والخاتم والسيف، والمكحلة، وحتى أباكم لم يقدر على ذلك، وإن هذا الكنز تحت حكم أولاد الملك الأحمر، ولا يقدر على ذلك إلا غلام من مصر اسمه جودر بن عمر فلم أتاك الأول قتله أولاد الملك الأحمر، وكذا الثاني وأنا لم يقدروا علي، وإنما قبضت على اثنين في هيئة سمكتين، ولكنهما في الأصل عفريتين فاذهب معي إلى مدينتي فاس ومكناس لنفتح الكنز ولك ما تطلب وتعود إلى عيالك مجبور الخاطر.

سافر جودر رفقة عبد الصمد المغربي بعد أن ودع أمه وأعطاهما ألف دينار، ركبا البغلة وطارتا بهما من الظهر إلى العصر، إذ هي من مرده الجن، وبقيا على هذه الحال مسافرين يأكلان من خرجها أشهى الأطعمة مدة أربعة أيام، حتى وصلا دارا، فلما دق المغربي الباب فتحت له صبية اسمها رحمة، فبقي جودر عند عبد الصمد مدة عشرين يوما، ينعم بما لذ وطاب، ولما كان اليوم الحادي والعشرين، أخذه لفتح كنز الشمندل، وأوصاه بأن يتبع نصائحه ولا يسمع من حراس الكنز، تمكن جودر من اجتياز الخطوات الأولى ولكنه عندما وصل إلى الباب السابع وجد جنية تمثلت له في صورة أمه، وبدأت تستعطفه، لما أمرها أن تنزع

ثيابها، خجل واستحيا منها، فقال لها: لا تفعلي وبذلك يكون قد وقع في الفخ، وانطلت عليه الحيلة، ونسي نصائح عبد الصمد، فكان جزاؤه ضرب مبرح، ثم رمي خارجا.

عاد جودر إلى عبد الصمد الذي كان ينتظره خارجا، وروى له ما حدث فقال له: إنها مجرد حيلة، وبذلك لا نستطيع استخراج الكنز، ويجب علينا انتظار سنة لإعادة الكرة.

في السنة الموالية، وفي الوقت ذاته، جاء جودر وعبد الصمد إلى المكان ذاته، وأعاد جودر المحاولة فلم يقع في الخطأ، واستخرج المكحلة، والخاتم، ودائرة الفلك، والسيف، وزود عبد الصمد جودر بخرج من الأطعمة، وخرج للجواهر، ثم أوصله إلى بلاده.

روى جودر لأمه ما حدث له، وأطلعها على سر الخرجين، وأوصاها كتم السر عن أخويه فعاش حياة هنيئة، ولما علم أخواه حضرا إلى بيته يشكوان ضعفهما وجوعهما، فرق قلب والدتهما، فأطعمتهم، وطلب منهما جودر الحضور في أي وقت حتى وإن كان غائبا. بسبب خبث الأخوين، أتيا إلى أمهما وأرغماها على إخبارهما عن حقيقة الأطعمة المتنوعة والكثيرة، فعلما بسر الخرجين، ودبرا حيلة للتخلص من جودر، والاستيلاء على الخرجين بأن باعوه إلى مجوسي، وضربا أمهما وطردها من بيتها.

أخذ المجوسي جودر، على مركب وسافرا وفي الطريق، بدأ يعذبه ولا يطعمه، حتى هبت عاصفة هوجاء، حطمت المركب، ففرق من معه ونجا جودر، والتقى بتاجر من أهل جدة وبقي معه، ثم أخذه معه إلى الحج، أين التقى بعبد الصمد المغربي، أخبره بما حدث له من أخويه. فمنحه المغربي خاتما. وفي غياب جودر تنازع الأخوان حول الخرجين، حتى وصل أمرهما إلى الملك، الذي أمر بسجنهما.

ولما عاد جودر إلى مصر، علم ما حصل لأخويه، ووجد أمه باكية التي أعادها إلى البيت ووفر لها ما تحتاج إليه بفضل الخاتم، وكذا إحضار أخويه من السجن، فطأ رأسيهما خجلا منه، وأخبراه بما فعله الملك بهما في السجن، كما أخذ منهما الخرجين. أمر جودر خادم الخاتم بإحضار الخرجين، وكل ما يوجد في خزائن الملك، وبأن يبني له قصرا ويجهزه بكل أنواع المفروشات ويحضر إليه جواري بيضاء وسوداء، وجعل نفسه ملكا وأخويه وزيرا.

بلغ الخبر الملك فطار عقله، وبعث أميره عثمان إلى قصر جودر فوجد طواشيا لم يعره اهتماما ولم يقف له، فهم بضربه فلاقى ما يستحقه هو وعساكره، ولما عاد إلى الملك أخبره بما جرى له، فبعث خمسين رجلا، فحدث الشيء ذاته من الطواشي، ثم بعث مائة من العسكر وكان مصيرهم مثل السابقين، ثم أشار الوزير أن يذهب بنفسه إلى قصر جودر مستعملا حيلة وهي سلامه على الطواشي وأخبره أن الملك شمس الدين يدعو ملكه جودر لضيافته، فرد عليه هذا الأخير بأنه هو الذي يدعوه إلى قصره.

لبي الملك شمس الدين دعوة جودر، تعجب مما رآه من أطعمة وملبوسات وأخذ يفكر كيف يفعل معه؟ فأشار وزيره عليه بأن يزوجه ابنته. وبعد زواج جودر بابنة الملك شمس الدين بمدة مات الملك فأصبح جودر على الدولة، وأخواه وزيرا للذان لا يزالان يضمران له الشر، فقررا التخلص منه، فأقاما له وليمة ودعاه إليها ودسا له الس فمات. أخذ سالم الخاتم من أصبع جودر ودعكه، فحضر الخادم وأمره بقتل سليم، وأصبح هو الملك.

تولى سالم الملك وجلس على العرش، ثم أمر القاضي بعقد قرانه على زوجة أخيه، التي أظهرت له الولاء، ولما دخل عليها وضعت له السم في الماء، فمات

وكسرت الخاتم حتى لا يملكه أحد، وشقت الخرج وأمرت شيخ الإسلام والعساكر أن يختاروا لهم ملكاً.¹

ص - حكاية معروف الاسكافي:

كان معروف الاسكافي يسكن مصر مع زوجته "فاطمة" الملقبة "بالعرة" لخبثها وشرها وكانت تضربه إذا كسب قليلاً، وذات طلبت منه كنانة بعسل نحل إلا أنه لم يكسب شيئاً، وهو عائد خائباً مر بديكان الكنفاني، لاحظ ذلك حاله، فعرض عليه كنانة بعسل القصب، ولما رجع إلى بيته غضبت زوجته منه وضربته وشكته إلى القاضي الذي أصلحاً بينهما، فشكته إلى قاض آخر فأصلحاً بينهما، فشكته إلى الباب العالي ففر معروف وهو يتمنى ألا يرى وجهها مرة أخرى وعند جلوسه بجانب حائط يئن، خرج له عفريت وسأله عن حاله فأخبره بالأمر فقرر العفريت مساعدته، وطار به ثم أنزله على جبل وطلب منه الانحدار إلى مدينة بقربه.

دخل معروف المدينة، وإذا بالناس ينظرون إليه ويسألونه عن مكان مجيئه فأجابهم من مصر تركتها البارحة عصراً، فضحكوا عليه واجتمعوا حوله واتهموه بالجنون، جاءه رجل تاجر وفرق عنه الجمع، ثم جلس إليه وطلب منه ألا يكرر حكايته، وبعد أخذ ورد اتضح للتاجر أنه صديق الصغر، منحه ألف دينار وجواداً وعبدًا. ونصحه بأن يظهر للناس أنه تاجر، ويكثر الصدقة على المحتاجين، لكنه بالغ في ذلك حتى فقد كل المال، فطلب من التاجر إقراضه المال على أن يرده بعد وصول قافلته التجارية، أسرف معروف إسرافاً شديداً في عطاياه حتى سئم التاجر انتظار وصول متاعه، وطالبوه بمالهم وشكوه إلى الملك، مثل معروف بين يديه فأخبره بأن له قافلة تجارية وأنها ستصل قريباً، طمع الملك وزوجه ابنته متكفلاً بمصاريف الزفاف، كما أنه وضع خزائن المملكة تحت تصرفه حيث قام بإكرام الفقراء والمساكين وبالغ في ذلك حتى نفذت، فدخل الخازن دار على الملك وأخبره بالأمر، حينها قال الوزير: هذا كذاب نصاب فأرسل إلى ابنتك لأكلمها من

1: ينظر المصدر السابق، ج 4: 56 - 96.

وراء الستارة. فلما حضرت سألها الوزير عن كل ما رآته من زوجها، فقالت له: سوف أقررهِ الليلة، بعد العشاء طلبت ابنة الملك من معروف أن يصدقها القول فأخبرها بالحقيقة كاملة، فنصحتهُ بالفرار لعل الله يرزقه من حيث لا يحتسب.

في الصباح سألها الوزير عن الخبر، فقالت له: إن زوجي خرج ليستعجل قافلته بعدما وصله مكتوب من مماليكه يخبره بأن العرب نهبوا أمواله وقتلوا خمسين منهم. لام الملك وزيره على شكه في نسيبه. أما ما كان من أمر معروف فإنه وصل بلدا صغيرا فوجد فلاحا دعاه للضيافة، أمسك معروف المحراث بدل صاحبه الذي ذهب لشراء طعام له، فتشاء الأقدار أن يتعثر المحراث في شيء قاده إلى طبقة بسلام ليجد فيها من الزمرد واليواقيت، واللؤلؤ ما لم يره أحد وعلبة فيها خاتما دعه فإذا بخادم اسمه أبو السعادات، أتاه وأصبح في خدمته هو وأبناءه وغلمانه الذين سخرهم لجلب أنواع القماش من سائر البلدان.

أرسل معروف ساعيا لإخبار نسيبه الملك بقدومه بأحماله وعليه أن يخرج عساكره لملاقاته، وبخ الملك وزيره على سوء ظنه بزواج ابنته، التي دهشت لسماع ذلك، أما صديقه عليا تعجب أن يكون له هذا، وقد جاء فارا من زوجته فقيرا معدما أما التجار فقد فرحوا لأنهم سوف يقبضون أموالهم.

وصل معروف التاجر بأحمال الذهب والقماش فملأت الخزائن ودخل على زوجته، فقالت له: لما قلت ذلك فأجابها لأجربك وأعرف قدر محبتك لي، ثم دعت الخاتم فخرج منه خادمه فطلب منه لباسا فخرا لزوجته و جواربها وللملك، فدهش الوزير من ذلك و طلب من الملك امتحانه لأن هذا ليس من مكسب التجار، فدبر الوزير حيلة بأن يقيموا وليمة في البستان ويسكروا معروف، وبذلك يتمكنوا من معرفة الحقيقة، بعدما اطلع الوزير على سرّ معروف أخذ منه الخاتم ودعه فحضر خادمه الذي طلب منه حمل معروف، والملك إلى أرض خربة، ثم تولى الحكم، وعقد قرانه بابنة الملك التي لاطفته، وخادعته حتى أخذت منه الخاتم وأمرت

بسجنه و أعادت زوجها و أباه، وعاشوا ثلاثتهم إلى أن توفي والدها وتولى زوجها الحكم، وبعد أن أنجبت له مولودا توفيت وهي توصيه بالولد و الخاتم.

في ليلة أفاق من نومه وإذا بزوجته بجانبه، والتي وصلت إليه بالطريقة ذاتها التي وصل بها إلى تلك البلاد، أراد أن يعطيها ما يرضيها ثم يعيدها إلى بلادها لكنها أبت إلا البقاء معه فكرهت ابنه لأنه ليس منها ففرها، وكان موتها على يده حيث فاجأها و هي تبحث عن الخاتم، فضربها بسيفه، فقاموا بدفنها، وأرسل الملك في طلب الفلاح، فجعله وزيره وتزوج من ابنته وزوج ابنه وعاشوا حياة هنيئة حتى أتاهم هازم اللذات و مفرق الجماعات فسبحان الحيّ الذي لا يموت ذو الملك والملكوت.¹

ع - حكاية السند باد:

في زمن هارون الرشيد ببغداد، كان هناك رجل يقال له السند باد، فقير الحال وكان يشتغل حمالا، مرّ ذات يوم بدار تاجر، فوضع حمله ليستريح ويستنشق الهواء، وبينما هو كذلك إذ سمع أغاني وطربا، ثم فاحت رائحة الأطعمة اللذيذة، فقال: سبحانك، تؤتي الرزق من تشاء ثم همّ لمواصلة السير، فخرج غلام وقبض على يده وقال: إنّ صاحب الدار يدعوك، فدخل إليها. وإذ بصاحبها هو السند باد البحري الذي قصّ عليه حكاياته بسفرائها السبع. حيث كان يقوم بمغامرات في كل رحلة حيث كان يتعرض لمخاطر جمة، وينجو منها بصعوبة، وما إن يعود إلى بلاده ويلقى أهله، وأحابيه ورفقاء دربه في التجارة، ينسى كل ما وقع له في رحلاته تتوق نفسه إلى السفر و الترحال مرة أخرى، فيتعرض إلى أهوال وصعوبات يفلت منها بقدرة الخالق، وصبره وتوكله على مولاه، لكنه سرعان ما ينسى ما ليقه بمجرد عودته إلى موطنه، والعودة إلى حياته الطبيعية، حتى يخرج في سفرة جديدة، حتى بلغت سبع سفرات كاملة، ولما كانت الأخيرة، ووصل إلى بر الأمان تاب عن السفر، وعاد إلى أرضه رفقة زوجة له كان قد تزوج بها على

1: ينظر المصدر السابق، ج 4 : 389 - 434.

ظهر جزيرة ابنة شيخها، الذي توفي وترك له كل ما يملكه، فتصدق وأكرم الفقراء والمساكين، بالإضافة إلى السند باد الحمال الذي أغدق عليه وأكرمه غاية الإكرام.¹

قالت شهرزاد: لي ألف ليلة و ليلة وأنا أحدثك - وكانت قد أنجبت له ثلاثة ذكور- فإن سمحت لي أتمنى عليك أمنية، قال الملك: تمنى تعطي. فجاءت بأولادها وقالت: بحق هؤلاء أن تعفو عني، فإن قتلتنني، من يقوم بتربيتهم، فقال: عفوت عنك قبل مجيء هؤلاء، لأنني وجدتك عفيفة ونقية، وأكرم والدها وأنعم على الفقراء والمساكين، وأمر بتزيين المدينة ثلاثين يوماً.²

1: ينظر المصدر السابق، ج3 : 387 - 434 ، ج4 : 3 - 27.
2: ينظر المصدر نفسه، ج4 : 434 - 435.

الفصل الثاني: شخصيات ألف ليلة وليلة وعلاقتها بالحضارة.

1 - تحديد الشخصيات في الحكايات المختارة للدراسة.

إن الشخصية هي العنصر المهم في النص القصصي، والروائي، والحكائي لأنها تمثل المحرك في منظومة الأحداث. فبعد المالك مرتاض من خلال حديثه عن الشخصية يقول: " فالنقاد العرب و الغربيين اعتنوا بالشخصية باعتبارها وحدة أساسية، حيث تنهض بالحدث، أو يقع عليها الحدث، أو حولها".¹

نستنبط من ذلك بأن الشخصية والحدث متلازمان في الحكاية، و لا يمكن أن نستغني عن أحد منهما، لأنهما يتفاعلان معاً، فيشكلان البناء الحكائي. ومن ثم، فإن شخصيات الليالي متعددة ومتنوعة، هي ببساطة فوق ما يحدها حصر، كما يقول عبد المالك مرتاض: " هي متعددة الأهواء، والمذاهب، والثقافات، والحضارات والهواجس و الطبائع البشرية التي ليس لتنوعها، ولا لاختلافها من حدود"². وأكثر ما يميز شخصيات الليالي، هو قدرتها على تخطي الصعاب، وتجاوز المحذور يشير عبد المالك مرتاض إلى أنه: " لا يوجد أثر مروّي، يضاهي ألف ليلة وليلة فيما يتعلق بالشخصيات، وبنائها، وتنوعها، وكيفية التعامل معها ثم كيفية تعامل بعضها مع بعض".³

نستنبط من هذا القول: إن تنوع، وبناء الشخصيات في الليالي رفعت من قيمتها وجعلتها تنفرد عن باقي الآثار الأدبية الأخرى، حيث انكب على قراءتها العام قبل الخاص والصغير قبل الكبير ومن خلال الحكايات المذكورة آنفاً، نستعرض أنماط الشخصيات، التي قادت هذه القصص إلى بلوغ ألف ليلة وليلة من الحكاية بحيث إنها تنقسم إلى ثلاثة أقسام فنجد:

1: ينظر في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، عبد المالك مرتاض، عالم المعرفة، ع 240 الكويت 1998: 102.

2: ينظر المرجع نفسه: 83.

3: ينظر ألف ليلة وليلة تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية " الحمال والثلاث بنات" عبد المالك مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، 1993: 51.

أ - الشخصيات الواقعية: أو التاريخية لإيهام المتلقي بحقيقة الحكاية مثل الخليفة هارون الرشيد وابناه الأمين والمأمون، ووزيره جعفر البرمكي، وسيافه مسرور والحسن البصري وغيرهم كثير.

ب - الشخصيات التخيلية: وهي الصنف الثاني في حكايات ألف ليلة وليلة وذات أسماء فخمة ومثيرة أغلبها لأمرء، وأميرات مثل: " أنس الوجود"، " الورد في الأكمام"، " تاج الملوك"، " بديعة الجمال"، " قمر الزمان"... وغيرهم.

ج - الشخصيات الأسطورية: تندرج ضمنها العفاريت، والهواتف، والشياطين والأحصنة الطائرة، والثعابين المتحولة، والشخوص النحاسية.

وبعد قراءتنا للحكايات، تبين لنا أنّ شخصياتها في معظمها طيبة، أما الشريرة فهي موظفة بقلّة. أما من حيث العواطف والأهواء، فإنّها ثابتة لا تتغير كما تتسم بالسطحية والبساطة، وتختار الحكايات شخصياتها من عامة الشعب على حدّ قول مصطفى فاسي: " تلك النماذج الشعبية البسيطة، التي تتصف بصفة أو أكثر خاصة بها".¹

ونتطرق بشيء من التفصيل لشخصيات الليالي، بدءاً من الحكاية الأم والتي كان بطلاها الرئيسيين هما:

✓ **شهریار:** هو فارس و بطل، وابن ملك ساساني، حكم الهند والصين، ثم تولى الابن الملك، وحكم هذه الجزائر بالعدل لمدة عشرين سنة.² وعند اكتشافه خيانة زوجته مع عبد من عبيده قتلها، ومن أجل اجتياز هذه الأزمة النفسية، عزم على أن يتزوج كل ليلة بفتاة ليقتلها في صباح الغد، و استمر الحال على ذلك مدة ثلاث سنوات.

1: ينظر تأثير ألف ليلة وليلة في القصص الشعبي الجزائري، شهرزاد بوسكاية: 7 / عن البطل في القصة التونسية، مصطفى فاسي، المؤسسة الوطنية للكتب الجزائر، دط، 1985: 299.

2: ينظر المسار السردى وتنظيم المحتوى، دراسة سيميائية لنماذج من حكايات ألف ليلة وليلة، عبد الحميد بورابو، دار السبيل للنشر والإشهار، الجزائر، دط، 2008: 31.

✓ **شهرزاد:** هي ابنة وزير الملك شهريار، تميزت هذه الفتاة بثقافة واسعة، حيث قرأت كتب التاريخ، وسير الملوك المتقدمين، وأخبار الأمم الماضية، وقيل إنها جمعت ألف كتاب من كتب التواريخ المتعلقة بالأمم السالفة، والشعراء.¹ ومن صفاتها الذكاء، والفتنة. وبعد فرار كل عائلات الرعية ببناتهن خوفاً من قرار شهريار وما عزم على فعله، أمر وزيره بالبحث عن فتاة، فاغتم لذلك. وكان لديه بنتان إحداهما شهرزاد التي عرضت على والدها إنقاذه من هذا الموقف والزواج من شهريار لأجل محاولة علاجه من أزمته بحكايات مشوقة تمتزج فيها الغرابة بالحقيقة، فهي تبدأ الحكاية، وعند الفجر تسكت عن الكلام، لتزيد في تشويق شهريار، وبت فيه الفضول لمعرفة النهاية.

و من أهم الشخصيات التاريخية في الليالي، التي أخذت القسط الوافر في أغلب الحكايات نجد:

✓ **شخصية عبد الملك بن مروان (26 - 86) هـ:** هو خامس خلفاء بني أمية، لقب بأب الملوك، حيث توسعت الدولة الأمية في عهده، وازدهرت، وكانت دمشق عاصمتها ومنارة للعالم في العلوم، وأعظم مدن العالم الإسلامي.

درس عبد الملك بن مروان العلوم الإسلامية، وتفوق فيها، وأخذ العلم من فقهاء دمشق وأصبح من المفكرين، تكونت شخصيته القيادية فيها، وهو فوق ذلك شاعر وأديب، وخطيب وقد وصف بأنه ثابت الجأش عند الشدائد، وكان يقود جيشه بنفسه.

عمل الخليفة عبد الملك بن مروان على إرساء أسس الدولة الإسلامية وحمايتها ونشر الإسلام في بلاد بعيدة، حيث تم فتح بلاد المغرب في خلافته. أكرم العلماء والمفكرين واجتذبهم إلى دمشق منارة العلم، وأنشأ دور العلم

1: ينظر ألف ليلة وليلة، ج: 1: 7.

الفصل الثاني: شخصيات ألف ليلة وليلة وعلاقتها بالحضارة

في عاصمة الدولة ، وفي المدن الإسلامية وتمت في عصره الكثير من الإنجازات التي ما زالت حتى اليوم.¹

✓ **شخصية هارون الرشيد:** خليفة المسلمين، وأجل ملوك الدنيا، رمزا من رموز العدل والاستقامة، فغالبا ما تنكر في زيّ تاجر على سبيل المثال في حكاية "الحمال والثلاث بنات" ليتفقد رعيته ليلا، وليتأكد من حقيقة الشكاوي المرفوعة إليه.

وهارون الرشيد هو خامس خلفاء بني العباس، وألمع اسم في تاريخ الدولة الإسلامية حيث ارتبط اسمه بعظمتها، واتساع مساحتها، وازدياد ثروتها، ورواج نشاطها في ميادين السلم و الحرب.

كان الرشيد مثقفا ثقافة عربية واسعة، فقد جمع إلى عقله الراجح الكبير، أدبا رفيعا وتذوقا ممتازا رائعا للشعر واللغة، وكان ناقدًا ذواقا، و بحرا واسعا في علوم الدين واللغة، والأدب.²

وصف الرشيد بالعلم الواسع، و العقل الراجح، والتذوق الرفيع، والسبب في ذلك أنه تتلمذ على يد علماء و فقهاء أجلاء أمثال الكسائي، والخليل، والأصمعي، و كان ذا سيرة عطرة طيبة مؤمنا بإسلامه، محبا لله و رسوله - صلى الله عليه وسلم - و يحب العلم والعلماء، ويكره الزندقة والزنادقة كلّ هذا جعل منه شخصية مستقرة مطمئنة، لا ازدواجية فيها فعاشت الدولة الإسلامية في عهده في رفاهية وطمأنينة، لأنه تتبع أمور رعيته وتخبر ولاته، و قضاته على يقين منه أنهم سيكون عوناً له في تسيير شؤونه بما يرضي الله عزّ وجلّ، فما تعجل بإراقة دم مطلقاً؛ لأنه عظم شعائر الإسلام، ووقف عند محرماته.

1: ينظر تاريخ الدولة الأموية، محمد بن أحمد كنعان، مؤسسة المعارف، بيروت، ط1، 1997: 18.
2: ينظر هارون الرشيد، أمير الخلفاء وأجل ملوك الدنيا، شوقي أبو خليل، دار الفكر، دمشق، ط1، 1977: 35.

✓ شخصية المأمون: هو ابن هارون الرشيد، وسابع خلفاء بني العباس، (170)

- (280) هـ

وصفه الواصفون بأنه من أفضل رجال الدولة العباسية، حزما وعزما، وحلما وعلماء، ورأيا ودهاء، وقد سمع الحديث عن الكثير من المحدثين، وبرع في الفقه، واللغة العربية والتاريخ، وكان حافظا للقرآن الكريم. فقد أخذ الأدب عن الكسائي، الذي قال فيه: " فكنت أشدد عليه في الأدب، و أخذ به أخذا شديدا".¹

أما الأصمعي فقد كان يختبره، حيث قال في هذا الشأن: " ثم أمرني - الرشيد - مطارحته فكنت لا ألقى عليه شيئا من فنون الأدب إلا أجاب فيه وأصاب".²

ويتبين من ذلك أن المأمون كان محبا للعلم، وحاضرا للسؤال، ومتأهبا للإجابة، ومكثرا للمطالعة، حيث دخل عليه الرشيد ذات مرة، فوجده ينظر في كتاب، فقال له: ما هذا؟ فأجابه: كتاب يشحذ الفكرة، ويحسن العشرة. فقال الرشيد: " أحمد الله الذي رزقني من يرى بعين قلبه أكثر مما يرى بعين جسمه".³

وأخرج الصولي عن محمد بن القاسم قال: سمعت المأمون يقول: " أنا والله أذ العفو، حتى أخاف ألا أوجر عليه، ولو عرف الناس مقدار محبتي للعفو لتقربوا إلي بالذنوب".⁴

والمأمون يقول أيضا: "بأنه لو عرف أهل الجرائم رأيي في العفو لذهب عنهم الخوف".⁵

يظهر من ذلك أن شخصية المأمون، كان لها ثقلها، ووزنها في الدولة الإسلامية، سواء من وجهة ممارسته لشؤون الحكم، أو من وجهة تعامله مع

1: ينظر المرجع السابق: 25.

2: ينظر المرجع نفسه: 26.

3: المرجع نفسه: 31.

4: تاريخ الخلفاء، جلال الدين السيوطي، ج5: 734.

5: ينظر ديوان الأمين والمأمون، واضح الصمد، دار صادر، بيروت، ط1، 1998: 145.

البسطاء من الرعية، حيث عرف بأخلاقه الحميدة، ولاسيما اتصافه بالعفو عند المقدرة.

✓ **شخصية المعتصم بالله:** هو أبو إسحاق محمد بن هارون الرشيد، الذي لقب بالمثمن ولد سنة 180 هـ، كان المعتصم بالله شجاعاً؛ إذ حكي عنه قصة بينه وبين ملك الروم: وكتب إليه ملك الروم يهدده، فلما قرأ الرسالة، أمر برميها وقال للكاتب: أكتب" أما بعد: فلقد قرأت كتابك، وسمعت خطابك، والجواب ما ترى لا ما تسمع، قال تعالى: "وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار".¹

وكانت له غزوات، وفتوحات كثيرة في سبيل الله. و كان المعتصم كريم الخلق متواضعاً، فقد حكي عنه أنه خرج مع أصحابه في يوم ممطر، وتفرقوا عنه فبينما هو يسير، رأى شيخاً معه حمار، عليه حملٌ شوكٍ، وقد وقع الحمار وسقط الحمل، والشيخ قائم ينتظر من يمر به فيساعده، فنزل المعتصم عن دابته، وخلص الحمار عن الوحل، ورفع عليه حملاً، وانتظر أصحابه حتى جاؤوا، وأمرهم أن يسيروا مع الشيخ ليعينوه.²

كان المعتصم سخياً، فلقد روى أحمد بن أبي داود: تصدق المعتصم على يدي، ووهب ما قيمته ألف ألف درهم، وفي عهده كثر العمران، وبنيت القصور، وارتفع البنيان، وقد مرض المعتصم، فأخذ يقول: "ذهبت الحيلة، فليس حيلة"، ولقي ربه في سنة سبعة وعشرون بعد المائتين للهجرة.

✓ **شخصية زبيدة:** اسمها الحقيقي " أمة العزيز" (ت 216 هـ)، هي زوجة الخليفة العباسي هارون الرشيد، تعتبر من أهم نساء الدولة العباسية، ومن أكبر أعمالها، بناء أحواض للسقاية للحجاج، من بغداد إلى مكة.

1: سورة الرعد، الآية 24.

2: ينظر تاريخ الخلفاء، جلال الدين السيوطي: 768.

هي فاتنة الحديث، ورزينة، ذات عقل ورأي، وفصاحة، وبلاغة، تنظم الشعر، وتناظر الرجال في المناسبات، والأحداث، ومساعدة للرشد عند غيابه عن الدولة في غزواته، عرف عنها اهتمامها بالأدب، والعلوم، حيث بذلت أموالاً من أجل البحوث العلمية، وكانت ذات طبيعة صافية يغلب عليها النزعة الصوفية إلى درجة أن الكثير من معاصريها ومن المؤرخين يعتقدون أن زبيدة اعتنقت المذهب الشيعي أو الإسماعيلي.

جسدت زبيدة المثل الأعلى في مكانة المرأة الزوجة، والقائدة، إلى جانب هارون الرشيد في كل منجزاته بالعمل، والعبادة، والفكر نموذجاً لنجاحها كما يقول المثل: وراء كل رجل عظيم امرأة عظيمة.¹

شخصية الحسن البصري: هو الحسن البصري بن الحسن يسار، وكنيته أبو سعيد، ولد في المدينة سنة واحد وعشرين للهجرة، حفظ القرآن في العاشرة من عمره، تتلمذ على أيدي كبار الصحابة - رضي الله عنهم وأرضاهم - في مسجد الرسول - صلى الله عليه وسلم - روى الحديث عن علي، وعثمان، وعبد الله بن عمرو، وابن عباس - رضي الله عنهم - رحل إلى البصرة وكان فقيهاً وعالمها، وشيخ القراء فيها. كان موضع إعجاب العلماء والتلاميذ قال عنه أنس بن مالك: "سلوا الحسن، فإنه حفظ ونسينا". وقال عنه أحد تلاميذه: "ترددت على مجلس أبي الحسن عشر سنين، فليس من يوم إلا أسمع منه ما لم أسمع قبل ذلك". وكان يدرس في المسجد الحديث، والفقه، وعلوم القرآن واللغة. وكان ينصح تلاميذه قائلاً: "إذا طلب الرجل العلم، فينبغي أن يرى ذلك في تخشعه وزهده ولسانه وبصره".

لقد نذر الحسن حياته لله تعالى، فكان همه الأول النصح والإرشاد، وأقبل عليه طلاب العلم إقبالاً عظيماً، فذاع صيته، واتسعت حلقاته حتى لقب بإمام البصرة. لازمته ظاهرة البكاء والخشية من الله، وعندما سئل عن ذلك قال:

2: ينظر هارون الرشيد أمير الخلفاء وأجل ملوك الدنيا، شوقي أبو خليل: 18.

نضحك ولا ندري، لعل الله قد اطع على أعمالنا فقال: لا أقبل شيئاً". وكان حسن البصري من أشد الناس، وأشجعهم، وكان يعد حياة القلب وسلامته، طريق الإيمان الحق. وقد فارق الحياة في السنة العاشرة بعد المائة للهجرة.¹

✓ **شخصية السند باد:** كان السند باد من أكابر الناس، مات أبوه وتركه صغيراً، وخلف له مالا وعقاراً، فلما وضع السند باد يده على الجميع، أكل وشرب، وتجمل بأفخم اللباس، ومشى مع الخلان والأصحاب، معتقداً أنّ المال دائم، و نافع على مدى الحياة ولما أفاق من غفلته، وجد المال قد مال، وحاله قد حال، و ذهب جميع ما كان عند ذلك عزم على التجارة، فقام و اشترى له بضاعة و متاعاً، و هيا نفسه للسفر.

كان في سفره ينتقل من جزيرة إلى أخرى، من أجل البيع، والشراء، متخذاً في أول انطلاقه البحر ثم ينزل بالجزر البعيدة، والغريبة؛ و كانت رحلاته مخوفة بالمخاطر، ثم يعود إلى بغداد و معه مال كثير، و لكنه يبده كعادته في المأكّل و الملبس. و بلغت رحلاته سبعا حسب ما جاء في حكايات ألف ليلة و ليلة.²

أما الشخصيات التخيلية فكان لها نصيب في حكايات ألف ليلة وليلة، إلا أن أدائها لدورها لم يكن فردياً؛ بل اقترن بدور لشخصية واقعية، فمن أبرز هذه الشخصيات نجد:

✓ **بديعة الجمال:** في حكاية "سيف الملوك وبديعة الجمال"؛ وقد رويت للملك محمد بن سبائك - من ملوك العجم في بلاد خراسان - من قبل تاجر ليغدق عليه الملك من أمواله.

شخصية "بديعة الجمال" تخيلية، جسدت دور ابنة ملك من ملوك الجان بيبابل، اسمه شاروخ بن شماخ ، بالغ الراوي في وصف جمالها، الذي يضاهاى

1: ينظر موقع قصة الإسلام، راغب السرجاني. www.Islamstory.com
2: ينظر مقالات في الأدب والترجمة، عبد العالي بشير: 172 - 173.

جمال القمر في ليلة تمامه ما إن رأى سيف الملوك صورتها على قباء هدية والدها للملك والده، حتى أقسم على البحث عنها ولو في أقصى بلاد العالم، فخرج في طلبها، وعانى من الأهوال، والمخاطر ما لم يلاقه أحد.¹

✓ **أنس الوجود والورد في الأكمام في حكاية "أنس الوجود مع محبوبته الورد في الأكمام".** هما بطلا الحكاية، فقد سميت الورد في الأكمام، بهذا الاسم بسبب فرط في رقتها، وكمال بهجتها، وهي ابنة وزير يسمى إبراهيم، عندما اكتشف والدها حبها لأنس الوجود، سجنها في قصر بجزيرة. أما أنس الوجود فهو شاب مليح، حسن المنظر، بهي الطلعة، نير الوجه ضاحك السن طويل الباع، واسع المنكبين. كان محبا للورد في الأكمام خاض رحلة البحث عنها عندما علم باختفائها، وبذل كل جهده في سبيل ذلك في كل بقاع الأرض.²

✓ **قوت القلوب:** في حكاية " خليفة الصياد مع الخليفة هارون الرشيد". قوت القلوب جارية ذات حسن وجمال، ولقد واعتدال، تحسن الطرب، والضرب على الآلات وقول الأشعار، وكذا معرفتها لكثير من الأمور الأدبية والعلمية، اشتراها ابن القرفاص، فكانت من الجاريات المتميزات، وأصبحت لها مكانة في قلوب الكثيرين، حتى أنّ الخليفة هارون الرشيد شغف بها حتى ألهاه الاجتماع بها عن أمور رعيته، فشكوه إلى وزيره جعفر البرمكي، الذي أخبر الخليفة بانشغال الرعية، فأيقن أن خروجه إلى الصيد هو خلاصه من كل ما يقال عنه.³

نختم شخصيات الليالي بالشخصيات الأسطورية، التي كانت تشمل جزءا كبيرا من الحكايات والتي تمثلت في عالم الجن والخرافات، كالغول، والحية الكبيرة، والقرد العملاق وكل ما لمسناه في حكاية السند باد البحري ومغامراته أثناء سفراته السبع.

1: ينظر ألف ليلة وليلة، ج1، ل46 : 187 - 256.

2: ينظر المصدر نفسه، ج3، ل397 : 156 - 215.

3: ينظر المصدر نفسه، ل828 : 438 - 459.

الفصل الثاني: شخصيات ألف ليلة وليلة وعلاقتها بالحضارة

فهذا المجال الخيالي الأسطوري، قد أسهم إسهاما كبيرا في رسم ملامح الصورة، التي نشطها خيال الراوي حتى يجعل السامع يندمج في الحكاية يتخيل وقائع غريبة نمت عنده من خلال بعض المعتقدات القديمة.

يوجد مثل هذه الشخصيات الأسطورية في أغلب الحكايات، حيث لا تكاد حكاية تخلو منها فهذه جنية سحرت إحدى البنات كما في حكاية "الحمال والثلاث بنات"، وهذه أخرى لبست لباس الريش وطارت به هربا من زوجها، على أن يكون شرطها اللحاق بها إلى بلاد "الواق واق" في حكاية "الحسن الصانع البصري".

2 - علاقة الشخصيات بالحضارة:

إن الحديث عن الحضارة يرتبط بالحديث عن أهم المظاهر التي برزت بها والتي تسهم في بنائها كالشخصيات الفاعلة، من خلال دورها في بناء صرح هذه الحضارة، وما تتميز به من صفات؛ والتي تسمح بتوجيه الحدث، حسب ما تدعو إليه الحاجة، لأن الشخصية هي المحرك في الحكاية كما تكون مزودة بالقيم، التي تبلور المسار السردي.

نستعرض علاقة الشخصيات الرئيسية بالحضارة، والتي كانت محورية في كل الحكايات في كتاب "ألف ليلة وليلة"، وهي:

أ - شهرزاد: هي شخصية بارعة، ذكية رسمت إيديولوجية في جميع حكايات "ألف ليلة وليلة" وتمثل رمزا من رموز المعالجة من الأمراض النفسية، فهي قد رضيت بأن تقترب بشهريار من أجل تطيبه من الأزمة النفسية، التي وقع فيها إثر خيانة زوجته له، فعقب ذلك كرهه، و بغض لكل النساء على وجه الأرض. ولكن هذا الشعور بقي يلزمه أينما ذهب، و في كل وقت فالتجأ إلى أسلوب الانتقام؛ بأن يتزوج كل ليلة من فتاة، فيستمتع بها ثم يقتلها في الغد من وجهة ويحقق بعض السكون النفسي من وجهة أخرى. فقررت شهرزاد أن تكون هي الدواء، بعد أن تزودت بزاد علمي كبير يضمن لها مواجهة شهريار، بالإضافة إلى أنها تميزت بالفطنة؛ يظهر ذلك أنّ والدها كان مكلفا بإيجاد فتاة للملك، بعد أن خلت المدينة منهم، فأثارت إنقاذه من هذه المشكلة بقولها له: "يا أبت زوجني هذا الملك فإما أن أعيش، و إما أن أكون فداء لبنات المسلمين و سببا لخلاصهن من بين يديه".¹

و قد انتهجت شهرزاد سبيل الحكاية، وذلك بأن تقصص على الملك كل ليلة حكاية لا تخلو من إشارات إلى غدر النساء، لكنها حاولت اكتساب ثقته، ثم تحكي

1: ينظر ألف ليلة وليلة، ج 1 : 8.

الفصل الثاني: شخصيات ألف ليلة وليلة وعلاقتها بالحضارة

أخرى عن وفائهن وذكائهن، دون أن تزعه بالمواعظ، والنوادر المباشرة؛ بل جاءته بقصص مشوقة، التي أثارت عنده ولعا بهذا الفن، واستمر ذلك ألف ليلة وليلة.

تعد شهرزاد شخصية قوية؛ فقد لقبت بـ "الأستاذة" من طرف غوته، لأنها استطاعت أن توصل رسالة الشرق إلى الغرب؛ مما جعل هذا الأديب يحس بقربه من الشرق... كما كان لها أثرا بارزا في الأوساط الأدبية؛ لأنها أسهمت في ولوج "غوته" عالم الكتابة، فألف الليلة الثانية بعد الألف، وجعل شهرزاد تتحدث معه وتطلب معونته في حكاية جديدة ترويها للملك.¹ وألهمت كذلك الكاتب "إدغار ألا نبو" فراح يؤلف قصة قصيرة عن شهرزاد في ليلتها الثانية بعد الألف ولكنه جعل لها مسارا آخر.²

يظهر جليا القيمة الفعلية لشخصية شهرزاد في حكايات "ألف ليلة وليلة" وأثرها الكبير في عدول شهريار عن فعله من وجهة، و حصولها على إعجاب قراء حكاياتها؛ فكانت هذه الأخيرة عملا خالدا وفتحت أبواب الإبداع في جميع فنون القصة، و ملهمة الكثيرين من وجهة أخرى. وهناك نقطة مهمة في المسار السردى لدى "شهرزاد"، هي تلك الافتتاحية التي تجلب القارئ المتمثلة في عبارة "بلغني أيها الملك السعيد" هذا من جانب، وحين تسكت عن الكلام لتحدث التشويق في نفس المستمع من جانب آخر؛ و تلك فلسفة الرواية عند الأستاذة كما لقبته. عرفت كيف تمسك بالخيط الناظم بين الحكاية الأم المنتهية و تمهد لأخرى بقولها: "إن ما سأحكيه أعجب مما حكيت³. هذا يثير فضول شهريار و دنيا زاد إلى ما هو أت.

1: ينظر غوته وألف ليلة وليلة، كاترينا مومس، ترجمة أحمد الحموي: 400.

2: ينظر الاغتراب في ألف ليلة وليلة، شريف بموسى عبد القادر، مذكرة ماجستير: 13 / عن ألف ليلة وليلة، سبير القلموي، رسالة دكتوراه: 73.

3: ينظر المسار السردى وتنظيم المحتوى، عبد الحميد بورايو: 31.

ب - شهریار، هو الشخصية الرئيسية الثانية بعد شهرزاد، الذي هو الإطار الأم لليلي؛ إذ يروى عنه بأنه ملك ساساني، حكم جزائر الهند و الصين بعد والده بالعدل لمدة عشرين سنة، و هو فارس في خصاله، وبطل، وشجاع في الميدان. والحدث الذي وقع له هو الذي أمد البشرية بهذا الأثر الأدبي الكبير؛ فشخصية " شهریار" بارزة في البناء القصصي، لها موقعها في المنظومة الحكائية، فبسببه وجد هذا الكم الهائل من الحكايات، الذي كون هذا المؤلف، ليصبح بعد ذلك كتابا محتويا على أخبار الأمم و حضاراتهم، وكذا حياتهم الاجتماعية، و معاملاتهم الاقتصادية لتبرز لنا ملامح العصر الذي أعطى الصورة التقريبية عن أحوال العرب، و معاملاتهم، و مدى إسهامهم في التحضر في جميع المجالات؛ العلمية والطبية، والفلكية، والفلسفة والأدبية.. فكان ذلك العصر الذهبي في القرن¹.

يتضح من ذلك مدى ارتباط هذه الشخصية بالمجال الأدبي، ليعطي دليلا ملموسا عن نشوء فن القصة عند العرب للغربيين، وردا على إدعاءاتهم الكاذبة بقصور العرب في فن القصة. لتظهر بعد ذلك الشخصية المتحولة لشهریار بعد انتهاء "شهرزاد" من مداواته من أزمته، و حدوث العفو.

وبهذا نستنتج أن "شهریار" شخصية متنامية، تطورت بتقدم السرد نحو خط النهاية فبلغت أوج سموها بعد سماعها على سبيل المثال - حكايات السند باد و بيان زيف المجد الزائف - لقد بدأ "شهریار" في خاتمة السرد رجلا زاهدا للسلطة طالبا للحكمة، والسعادة الحقيقية.

ومن الشخصيات الثانوية، التي كان لها الوقع في حكايات "ألف ليلة وليلة" وظهر أثرها في الجانب الحضاري هي:

1: ينظر الرواية والتراث السردی، سعید یقطین، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة ط1، 2006: 62.

أ - **عبد الملك بن مروان**، كان قبل الخلافة متعبدا ناسكا، وعالما فقيها، واسع العلم، لقب بحمامة المسجد؛ لقبه به بن عمر - رضي الله عنهما - و جاءته الخلافة وهو يقرأ في المصحف.

قيل لابن عمر - رضي الله عنه -: "أرأيت لو تفانى أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فمن نسأل بعدهم"؟ فقال: "سلوا هذا الفتى، يعني عبد الملك".¹

و قال نافع: "لقد رأيت المدينة، وما فيها شاب أشد تشميرا، ولا أفه، و لا أقرأ لكتاب الله من عبد الملك بن مروان".² فعبد الملك بتلك المكانة، قد أصبح مبعث خير، ومصباح هداية، ودليل طريق، كما قال أحمد الشافعي واصفا إياه: "كالشمس للدنيا وكالعافية للبدن"...لأنه من الذين اتخذوا القرآن منهجا في العلم والمعاملة، والحديث النبوي سراجا ينير الأمور الصعبة وسيرة النبي - صلى الله عليه وسلم -.

و قال الشعبي: "ما جالست أحدا إلا وجدت لي الفضل عليه، إلا عبد الملك بن مروان فإني ما ذاكرته حديثا، إلا زادني منه، و لا شعرا إلا زادني فيه".³

يبدو من هذه الأقوال مدى علم عبد الملك بن مروان في الأمور الدينية حتى إنه تلى الصحابة في السؤال، وكذلك تميز بثقافته الواسعة في الحديث الشريف، بأنه متمكن منها، كما اتخذ ديوان العرب سبيلا في توسيع معرفته وعلمه. فعبد الملك بتلك المكانة، قد أصبح مبعث خير، ومصباح هداية، ودليل طريق، كما قال أحمد الشافعي واصفا إياه: "كالشمس للدنيا وكالعافية للبدن"...لأنه من الذين اتخذوا القرآن منهجا في العلم والمعاملة، والحديث

1: ينظر تاريخ الدولة الأموية، محمد بن أحمد كتعان: 507.

2: ينظر المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3: المرجع نفسه: 188.

النبوي سراجا ينير الأمور الصعبة، وسيرة النبي - صلى الله عليه وسلم - قدوته في حل مشاكل المؤمن، وتقويم سلوكه، والالتزام بمبادئ الشريعة الإسلامية.¹

وقد كان عبد الملك بن مروان في حكايات " ألف ليلة و ليلة"، مثالا للعفو في حكاية " نعمة ونعم".²، فهو لم يرض بقهر الجارية " نعم" وأخذها من سيدها بدون وجه حق؛ عندما اطلع على أمر خطفها من سيدها أرجعها له، و عفا عن "نعمة" الذي دخل قصره متخفيا لإنقاذ جاريته، في حين إنّه ملك قادر على أخذها ولا أحد يقدر عليه، لكن أخلاقه، وتربيته الدينية كانت هي الغالبة في قراره. وعبد الملك من الذين ارتادوا أفاق العلم و غيروا مجرى التاريخ وأحدثوا أكبر الأثر في حياة أمتهم، وحياة الإنسانية، فهو من الملوك الذين قويت إرادتهم واستقامت أخلاقهم و خلت حياتهم من الآفات الاجتماعية، والأخلاقية القاتلة... وهذه الحكاية ما هي إلا دليل صغير على ذلك؛ بل الملك كان حلمه أكبر مما نتصور، فهو كان صاحب مشروع بناء المسجد قبة الصخرة في فلسطين، يعد هذا المسجد من أفضل وأدق تصميم، وهندسة، وزخرفة يمكن أن يبدعها عقل بشر؛ لقد وعى الخليفة أهمية المسجد في تهيئة الفرد، ليكون قادرا على حمل لواء العلم و الحضارة، فالنبيّ - صلى الله عليه وسلم - بني الدولة الإسلامية، ونظم صفوف المسلمين، و سنّ لهم القواعد والشرائع من المسجد.

كما يعد أول من ضرب الدنانير، فكتب في الوجه الأول " قل هو الله أحد"، و في الوجه الآخر " محمد رسول الله أرسله بالهدى و دين الحق"، و نقلت في أيامه الدواوين من الفارسية والرومية إلى العربية.³

يتضح من ذلك شخصية عبد الملك بن مروان في عصره، ومن خلال أعماله فهي عقلية ذكية، و فطنة جمع بين الحياة السياسية، والأدبية، وجعل الدين هو

1: ينظر أخلاقنا الاجتماعية، مصطفى فاسي: 8.

2: ينظر ألف ليلة وليلة، ج 2، ل 281 : 348.

3: ينظر فسيفساء قبة الصخرة، إبراهيم الفني، دار اليازوري العلمية للنشر و التوزيع، الأردن، دط 2007 : 7.

منهاجه لتحقيق التطور، والرقى لأن الدين الإسلامي هو القاعدة المتينة، التي ارتكز عليها المسلم في مشاريعه الحضارية.

بم - **هارون الرشيد**: هذه الشخصية استحوذت على أهم الأدوار في القصص بوصفها رمزا للعدل والاستقامة، فغالبا ما تنكرت في زيّ التاجر (حكاية الحمال والثلاث بنات)، الذي يتفقد الرعية، ويتأكد من الشكاوي المرفوعة إليه، فنجد الخليفة يطوف ليلا في أرجاء مدينة بغداد صحبة وزيره " جعفر البرمكي" وسيفه مسرور. وهارون الرشيد هو خامس خلفاء الدولة العباسية في العراق، ألمع اسم في تاريخ الدولة الإسلامية في القرون الوسطى، وارتبط اسمه بعظمة الدولة واتساع مساحتها، وازدياد ثروتها، وامتداد نشاطها في ميادين السلم والحرب. بعدما تولى " الرشيد" الخلافة قام بأعبائها، فازدهرت الدولة.

كان عالما بأخبار العرب، فصيحاً، له شعر، ومحاضرات مع علماء عصره، الذي أحسن معاملتهم، وقد اجتمع على بابهِ العلماء، والشعراء، والكتاب والندماء، والمغنون. واتصف الرشيد بالحزم، والكرم، والتواضع، فلم ير خليفة أجود منه. وهو أول خليفة لعب بالكرة، والصولجان - من ألعاب الفروسية، التي كان يمارسها الخلفاء، وكبار رجال الدولة، وهي لعبة الكرة على ظهور الخيل، ولها لباس خاص، فهي تفيد البدن جميعه، ولها قواعدها الخاصة - لقب "الرشيد" بجبار بني العباس؛ فكان كثير الغزوات يغزو سنة ويحج سنة، واتصف بالشجاعة. نشأ في بيت ملك، وأعدّ ليتولى المناصب القيادية، قام أبوه "المهدي" بتربيته وتعليمه، وتثقيفه على يد الكسائي، والمفضل الضبي، حتى اشتدّ عوده واستقام أمره، ثم ألقى به أبوه إلى ميادين الجهاد وجعل حوله قادة أكفاء يتعلم على أيديهم. عندما تولى الخلافة بلغت دولته مبلغا كبيرا من التآلق، والازدهار في الدولة العباسية، التي دامت أكثر من خمسة قرون ارتقت فيه العلوم، وسمت الفنون والآداب، وعمّ الرخاء، مع أنّ هذه الدولة مترامية الأطراف ومختلفة البيئات، ومتعددة العادات و التقاليد، ومعرضة لظهور الفتن، والثورات، لكن

"الرشيد" كان أهلاً لمهمة قيادة حكيمة، وحازمة يفرض سلطانها الأمن والسلام بالرغم من أن عمره كان نحو الخامسة والعشرين، فأخذ بيد الدولة وأبهر الناس بمجدها، وقوتها، وازدهار حضارتها، ولم يهنا "الرشيد" بحياته؛ بل كان متابعا لسير دولته حيث قلد "يحيى بن خالد البرمكي" الوزارة، و كان من أكفأ الرجال وأمهريهم، و فوض إليه أمور دولته فضاعف من ماليتها، الذي كان يكفي قضاء حاجات كل الأقاليم الإسلامية واعتمد للخراج نظاما شاملا باعتباره من أهم موارد الدولة، يتفق مع مبادئ الشرع من خلال كتاب "الخراج" لأبي يوسف. والفائض المالي الذي حقق في عهد "الرشيد" أسهم في إنعاش الحياة الاقتصادية، وزيادة العمران، وازدهار العلوم، والفنون، كما أنفقت هذه الأموال في النهوض بالدولة وتنافس كبار رجالها في إقامة المشاريع لحفر الترع والأنهار، وبناء الأحواش، وتشيد المساجد وإقامة القصور الفخمة، والأبنية الرائعة، التي امتدت إلى جانبي نهر دجلة، فأصبحت دار السلام من اتساعها كأنها مدن متلاصقة، وتعبيد الطرق، فصارت أكبر مركز للتجارة في الشرق، تأتيها البضائع من كل مكان، كما غدت بغداد قبلة الطلاب من جميع البلاد، يرحلون إليها، حيث كبار الفقهاء، والمحدثين، والقراء واللغويين احتضنت فيها المساجد دروسا، وحلقات العلم، فكانت أشبه بمدارس عليا من حيث غزارة العلم، ودقة التخصص، وكثرة المناقشات وثرأء الجدل والحوار، كما جذبت المدينة الأطباء، والمهندسين، وسائر الصناعات، ولعل الفضل في ذلك هو تشجيع "الرشيد" لأهل العلم، ومساندته لهم بالأموال، وتوفير الصلات الرابطة بين العلم وتواضعه في معاملته لهم.¹

أنشأ "الرشيد" بيت الحكمة، وزودها بأعداد كبيرة من الكتب، و المؤلفات من مختلف بقاع الأرض كالهند، وفارس، والأناضول، واليونان، كما كانت

1: ينظر صورة العجوز في حكايات ألف ليلة وليلة، الجليلي بي عربية مذكرة ماجستير في الثقافة الشعبية سنة 2006: 12/ عن العصر العباسي الأول عبد المنعم ماجد: 30.

تضم غرفا تمتد بيتهأ أروقة طويلة، وخصصت بعضها للكتب، وبعضها للمحاضرات، وبعضها الآخر للناسخين، والمترجمين والمجلدين.¹

ذاع صيت "الرشيد" وطبق الآفاق ذكره، وأرسلت بلاد الهند والصين وأوروبا رسلها إلى بلاطه تخطب وده، وتطلب صداقته، وكانت سفارة شارلمان ملك الفرنجة من أشهر تلك السفارات وجاءت لتوقيع العلاقات بين الدولتين سنة سبعمائة و تسعة وسبعون للميلاد فأحسن " الرشيد" استقبال الوفد، وأرسل معهم عند عودتهم هدايا قيمة، كانت تتألف من حيوانات نادرة، منها فيل عظيم عدّ في أوروبا من الغرائب، وأقمشة فاخرة، و عطور، وشمعدان من البرونز المطلي بالذهب مصنوعة في بغداد حين تدق ساعة الظهر، يخرج منها إثنا عشر فارسا من اثنتي عشر نافذة تغلق من خلفهم، وقد تملك العجب " شارلمان" وحاشيته من رؤية هذه الساعة وظنوها من أمور السحر.²

إنّ "الرشيد" كان رشيدا في عصره، وكتب التاريخ اسمه بحروف من الذهب وتداول سيرته المؤرخون في كتبهم، حتى "ألف ليلة وليلة" لم تهمله؛ بل جعلته بطلا لحكايات عديدة، فكان بذلك مثالا يفخر به كل مسلم، لأنه استطاع أن يشيد دولة قوية في كل الميادين فهو حقق الرقي والازدهار لدولة العرب المسلمة فالرشيد أنعش الحياة في العصر العباسي التي كانت عرضة للفتن و الأزمت فارتبط اسمه بالحضارة الإسلامية، لأنه هو الذي أعادها إلى السطح بعدما تاهت في غيا بات الجب.

ج - المأمون، كان المأمون أديبا، وتميز بمشاركته الفعالة في علوم كثيرة، حيث جاء في كتاب قصة الحضارة أنه أرسل إلى المدن الرومانية، يطلب أن يمدوه بالكتب خاصة الطب والعلوم والرياضيات وعندما وصلت هذه الكتب، انكب عليها المسلمون بترجمتها، وفحصها ودراستها فألفوا وابتكروا في كافة العلوم، التي

1: ينظر المرجع السابق: 31 - 32.

2: ينظر المرجع نفسه: 51.

أسهمت بعد ذلك في نهضة أوروبا يوم احتكت بالعرب في الحروب الصليبية وانتقال المستشرقين بين بلدان الدول العربية. كما فتح المأمون المدارس التي كان لها الدور الكبير في تطوير العلوم، ونشر العلم والمعرفة.¹

أخرج عن محمد بن العباس أنه قال: " كان المأمون يحب لعب الشطرنج شديدا، ويقول: " هذا يشحذ الذهن، واقترح فيها أشياء."².

يتضح من ذلك أن المأمون كغيره من خلفاء بني العباس كان مولعا بشتى أنواع العلوم حيث تميز بالعزم والحزم، ورجاحة العقل، وقد أسهم في تشجيع العلماء بالأموال والوسائل، وتهيئة الظروف لبناء الدولة الإسلامية، ووضع أسس الابتكار، والبحث العلمي في شتى الميادين كالطب والرياضيات والفلك، وعلم الحياء وغيرها من العلوم، التي أرست قواعد بناء الحضارة العربية الإسلامية.

إن المأمون قد واصل مسيرة أسلافه من الخلفاء المسلمين، الذين كان لهم باع في سمو مكانة العرب بين الأمم الأخرى.

ذكرنا فيما سبق أن المأمون كان سيّد العفو، متسما بالسماحة، والكرم، وقد خلدت ذلك حكايات " ألف ليلة وليلة" في حكاية الجواري المختلفة الألوان، التي اشتراها سيدها، ولما علم بشوقهن له أعادهن إليه عن طيب خاطر بعد أن كساهن بالملابس الفاخرة، وأعطاهن ستين ألف دينار.³

د - السيدة زبيدة، زوج الخليفة هارون الرشيد؛ كانت امرأة متميزة عرف عنها اهتمامها الكبير بالآداب والعلوم، وبذلت الكثير حتى حشدت في العاصمة بغداد مئات الأدباء والشعراء، والعلماء ووفرت لهم كل وسائل الإنتاج والبحث. وكان ممن اشتهر منهم في مجال الشعر (العباس بن الأحنف أبو نواس، أبو العتاهية، ومسلم بن الوليد، والراوية خلف الأحمر)، وفي الأدب (الجاحظ)، وفي اللغة (الخليل، وسيبويه

1: ينظر ديوان الأمين والمأمون، واضح الصمد: 145.

2: ينظر المرجع نفسه: 188.

3: ينظر ألف ليلة وليلة: 126 - 127.

والأخفش، وأبو عمرو بن العلاء)، ومن علماء الدين (أبو حنيفة، والإمام الأوزاعي وابن أنس) بالإضافة إلى الكثير من الأطباء والمجددين في شتى فروع العلم.

قد بذلت السيدة في سبيل ذلك الأموال الطائلة، حتى أنها فتحت أبواب خزائنها لتحويل بغداد قبلة ومستقرا للعلماء، ومن الأطباء الذين شملتهم برعايتها الطبيب "جبريل" الذي منحته راتبا شهريا قدره خمسين ألف درهم.

كانت شريكة حقيقية لهارون الرشيد في أمور حكمه، وغزواته، ورحلاته. تميزت بمكارم الأخلاق لأنها تربت على تعاليم إسلامية، مما جعل منها ذات فكر متنور، ومتطلع إلى مستقبل يشهد بمشاريع كبيرة ن فكرت فيها السيدة زبيدة من بينها: مشروع سقاية الحجيج من بغداد إلى مكة، لتزويدهم بمياه الشرب بدل شرائها.

جسدت السيدة زبيدة مثالا حيا للمرأة الزوجة والقائدة إلى جانب الخليفة هارون الرشيد، نجد ذلك مبينا في حكايات "ألف ليلة وليلة" من خلال عرض لأهم الجوانب المعيشية.¹

هكذا كان للسيدة زبيدة دورا فعالا في بناء صرح الحضارة العربية الإسلامية، وإرساء أسسها بفضل ما أسهمت به من إنجازات.

— **السيدة باد البحرية**: هي شخصية مغامرة، تهوى الترحال واكتشاف المجهول والتطلع على خبايا العالم من وجهة، و السعي إلى تحقيق الربح من أعمال التجارة والمبادلات من وجهة أخرى، فنجد فضولا كبيرا يشغل هذه الشخصية، بحيث اختلفت عن غيرها من الشخصيات في التصميم على الرحلة مرات عدة، بالرغم من المخاطر التي يواجهها، و المهالك التي يقع ضحيتها، لكنه سرعان ما يسترجع شوقه إلى معاودة السفر.²

1: ينظر موقع قصة الإسلام ، راغب السرجاني. www.Islamstory.com

2: ينظر ندوة الأدب المقارن ودوره في تقارب الشعوب، المجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، مقالة زبيدة القاضي:

بالإضافة إلى ذلك ما تميز به السند باد من الأخلاق الحميدة كالكرم ومساعدة الضعيف، والصدق و محبة الناس، وطيبته الزائدة مما جعلت منه شخصية محبوبة، فحكاياته أثرت الجانب الفني في الأدب القصصي الشعبي الذي انعدم في الحكاية الشعبية الغربية؛ لأنه أحدث نوعا من الفضول الذي يشغل حيزا كبيرا في حكايات "ألف ليلة وليلة".

شكّل السند باد البحري شخصية أسطورية، أعطت للحكايات طابعا مميزا جعلها تنفرد بأسلوب مشوّق، وفسحت للخيال مجالا واسعا في رسم ملامح قصة مثيرة، تجعل قارئها يتغلغل في الأعماق ويكتشف أسراراً غريبة عن أصقاع كثيرة من العالم، فكان بذلك السند باد رحالة برع في نقل أخبار البلاد التي زارها بصورة رائعة، ونجد ذلك في سفراته السبع.

و - الشخصيات التخيلية والأخرى الأسطورية:

1 - التخيلية:

قبل أن نتحدث عن الشخصيات التخيلية، لابد من الإشارة إلى دور التخيلي في الحكايات "فهي ميزة حباها الله تعالى للشرقيين، انتقلت عبر المورثات من الأجداد إلى الأحفاد".¹

نلاحظ أنّ عنصر الخيال في الليالي أخذ قسطا وافرا؛ يرجع ذلك إلى أن الخيال غزا الحقيقة وبدأ يبيث عجائبه في مختلف التصرفات في المجتمع، لأنه أخذ مورثاته من الأجداد.

✓ سيف الملوك وبديعة الزمان: وهما شخصيتان من شخصيات الليالي حققت الجانب الفني في الحكايات من خلال الأسماء الغريبة المتداولة؛ فالاسم

1: ينظر توظيف التراث في الرواية العربية، محمد رياض وتار: 57.

"سيف الملوك" أو "بديعة الزمان" يبعث في القارئ الفضول لمعرفة أحداث قصتهما والعصر الذي عاشا فيه، وما تميز به من عادات وتقاليد غريبة.

✓ أنس الوجود والورد في الأكام: وهما شخصيتان بارزتان في كتاب الليالي من خلال قصتهما، حيث إنهما تميزا بالأدب الباهر، والعقل الوافر، والذكاء والفتنة البليغة، "فالورد في الأكام" لما أعلنت "أنس الوجود" برحيلها مرغمة اتخذت من الشعر وسيلة ضامنة لرسالتها الوصول إلى مقصدها، فهذه الشخصية تميزت بتمكنها من اللغة الفصيحة المحاورة للعقل المستقبل بشكل يجعله فهم العقل المرسل. ويتضح من ذلك أن اللغة هي سمة أساسية من سمات الشخصية تشكل اسمها من وجهة، وجزءا من خطابها اليومي من وجهة أخرى.

✓ قوت القلوب: هي شخصية تعرف في جميع العلوم و الفنون، وتنظم الشعر أحضرت إلى أمير المؤمنين" هارون الرشيد" الذي "اختبرها في كل علم وفي كل فن فوجدتها عارفة بجميع العلوم، والصنائع، ليس لها في عصرها نظير".¹ فصارت من جملة محاضيه في القصر، بالرغم من كون "قوت القلوب" جارية، إلا أنها تميزت بعلم وافر أدهش الخليفة عند مساءلتها؛ يتبين من ذلك أن العلم والأخذ به لم يكن حكرا على السيدات من الملوك، والأمراء؛ بل تمتع به حتى الجوارى، وأخذن به قسطا وافرا.

2 - الأسطورية:

لقد ذكرنا سابقا إن هذه الشخصيات متمثلة في عالم الجن، والعمالقة والعماقة ويصعب على قارئ الحكايات تخيل صورها، فمهما بالغ الفكر في استحضارها لا يمكنه ذلك فالحيات العملاقة مثلا لا يمكن تخيل ضخامتها، وطولها إلا أن حكايات الليالي التي روتها شهرزاد قربت لنا الصورة، من خلال طريقة السرد، التي مزجت بين عالم الخوارق و الواقع كما تميزت بالربط المحكم

1: ينظر ألف ليلة وليلة، ج 4، ل 832: 445.

بين السحر الواقع دون حرج، فلقد كانت شهرزاد تصف العالمين بدقائقهما وبالواقعية ذاتها لا فرق بين عالم وآخر، لذلك كان وصفها مؤثرا، ومقنعا.¹

نستشف من ذلك البراعة التي تميزت بها شهرزاد، في قصتها لهذه الحكايات، حيث استطاعت أن تضبط نسجها لخيوط قصصها، وذلك بالجمع بين أحداث حقيقية وأخرى خيالية في قالب واحد. ولعلّ الطريقة التي انتهجتها شهرزاد، إنّما تسعى من وراء ذلك تحقيق بعض التعاليم التربوية، بشكل خفي لكي لا تتطفل على القارئ؛ بل يكتشفها هو بنفسه. فكل حكاية من هذه الحكايات رمزية تشير إليها في مضامين الأحداث.

إنّ شهرزاد قد استخدمت رمزا أسطوريا، أبرزت من خلاله أبطال حكاياتها بشكل تجعل المتتبع للسرد يتصور هؤلاء الأبطال من أبسط شيء إلى آخر أكبر فيها، وتمثل ذلك في تلك الشخصيات الأسطورية، التي كان لها دورا فعّالا في بلورة الأحداث، والتي جسّدت ملامح الجانب الخيّر كتقديم يد العون للغير وكمثال على ذلك تلك الحية العملاقة التي ساعدت "حسيب كريم الدين" على بلوغ الهدف المنشود، وهذا يعني أنّ شهرزاد وظفت روح الإسلام ومبادئه في الحكايات وما التمسك بهذا الدين وتعاليمه إلا من أجل تأسيس قيم تصنع الحضارة، وتؤلف بين قلوب البشر، فيقوى الإنسان بدعم أخيه، وتصبح الحياة أكثر جمالا، وأكثر رقيا.

1: ينظر غوته وألف ليلة وليلة، كاترينا مومس، ترجمة أحمد الحمود: 408.

الفصل الثالث: السمات الحضارية في حكايات ألف ليلة وليلة

إن ألف ليلة وليلة عالم فني، ومعرفي، كله دلالات ومادة لا تنضب، يتسم بمجموعة من السمات تتيح لها نوعاً من التوالد السردي المفتوح، الذي يوشك أن يكون لا نهائياً في تشكيلاته القصصية؛ فهذه الحكايات بوصفها أدبا شعبيا تنغمس انغماساً قويا في المجتمع؛ بل يصبح قطعة منه لأنه يعبر عن كيانه وروحه، فينقل لنا انشغالاته، وتطلعاته الآنية والمستقبلية وما يتميز به من ملامح حضارية، يمكن أن ندرجها في جانبين هما المعنوية وأخرى مادية.

1- السمات المعنوية:

لقد اتهم كتاب الليالي، بأنه مجرد كتاب متعة، الهدف منه التسلية من خلال قراءة حكاياته المليئة بالقصص الغريبة والعجيبة، ولكن عندما اطلعنا عليه، وأمعنا التأمل فيه أدركنا أنّ ما قيل فيه مبالغة كبيرة؛ بل وجدنا فيه عبراً، ومواعظ تسيّر عليها الأجيال، التي أسهمت في بناء حضارة كانت مثل المرشد، والدليل لحضارات أخرى، ألا وهي الحضارة العربية الإسلامية ومن جملة السمات المعنوية، التي تميزت بها حكايات الليالي، على سبيل المثال لا الحصر:

أ - **الوفاء بالعهد**، هو من الأخلاق الحميدة؛ بل أجلها، والذي إذا اتصف به الإنسان كان جزاؤه الفوز بالجنة، أما من أخلف عهده فيكون موصوفاً بصفات المنافق، كما قال الرسول - صلى الله عليه وسلم " آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ"¹. إذن فإنّ الوفاء بالعهد من الخصال الحميدة، التي أوصانا بها الله ورسوله، ولو كان ذلك على حساب حياة الإنسان، لأن من أعطى عهداً يصبح ديناً عليه ما دام صاحبه حراً، فالحكمة تقول: "

1: أخرجه مسلم في صحيحه، ج2: 46 ورواه أبو هريرة - رضي الله عنه -

الفصل الثالث: السمات الحضارية في حكايات ألف ليلة وليلة

وعد الحر دين عليه". وقد سمي الشيء المعاهد عليه عهدا في قوله عز اسمه: "والذين هم لأمانتهم وعهدهم راعون"¹؛ أي قائمون عليها بحفظها، وإصلاحها، لا يخونون إذا اتتمنوا ولا ينقضون عهدهم.

إن الأمانة والعهد يجمع كل ما يحمله الإنسان من أمر دينه و دنياه قولاً و فعلاً وخلقاً، وغاية ذلك حفظه و القيام به، و الأمانة أعم من العهد، فكل عهد أمانة فيما تقدم فيه قول أو فعل أو معتقد.²

وإذا جئنا إلى الليالي، فإننا نجد الوفاء بالعهد في الكثير منها، وعلى سبيل المثال لا الحصر:

في "حكاية التاجر و العفريت"، نجد التاجر يفي بعهده، عندما يطلب من العفريت مهلة يعود فيها إلى دياره، فيودع أهله و يقضي ديونه، ثم يرجع إلى العفريت لينفذ فيه حكمه. "رجع إلى بلده وقضى جميع متعلقاته، وأوصل الحقوق إلى أهله، و أعلم زوجته، وأولاده بما جرى له فبكوا، و كذلك جميع أهله، ونسائه، ثم توجه و أخذ كفنه تحت إبطه، وودع أهله وجيرانه"³. كان للتاجر فرصة النجاة بنفسه، عندما أمهله العفريت مدة العودة إلى أهله من أجل قضاء حوائجه، وقد مكث بينهم سنة كاملة - لو كان غيره لنسي عهده - لكن التاجر رجع إلى العفريت للوفاء بالعهد، فكان فوزه بالنجاة من الموت بسبب من جعلهم الله عوناً من أجل خلاصه من العفريت وكيده.

1: سورة المؤمنون، الآية 8.

2: ينظر معجم ألفاظ القيم الأخلاقية و تطورها الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم، نوال كريم زرزور، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 2001 :

108 / عن تفسير الطبري ج 12: 107.

3: ألف ليلة وليلة، ج 1: 8.

الفصل الثالث: السمات الحضارية في حكايات ألف ليلة وليلة

كما يتجسد الوفاء بالعهد في "حكاية أنس الوجود مع الورد في الأكام"، عندما وعد الملك "درباس" الورد في الأكام بالبحث عن أنس الوجود؛ يتبين ذلك في: " لا خوف عليك و لا فزع، قد وصلت إلى مرادك لا بد أن أبلغك ما تريدينه، و أصل إليك ما تطلبينه"¹. وعد الملك "درباس" الورد في الأكام ببلوغ هدفها، فجهز جيشا، وخرج طالبا أنس الوجود، و فعلا كان له ذلك، وتم اللقاء بينهما، ثم عقد الملك قرانهما بحضور والدها الوزير إبراهيم، و الملك شامخ.

وفي حكاية "الشاب صاحب النوق"، الذي قتل صاحب البستان خطأ بعد أن قتل فحل نوقه، بعد عرضه على عمر بن الخطاب، طلب منه مهلة ثلاثة أيام لقضاء حاجته، وقد كفله أبو زر الغفاري، فظن القوم أنه فرّ من الحكم، إلا أنه عاد بعد انقضاء المهلة، فقال له بعضهم: "ما أكرمك من غلام، و أوفاك بالعهد"².

إنّ الوفاء بالعهد شيء جليل، يجعل صاحبه ذا قوة لا توصف، فيسمو إلى علياء لا حدود لها فهو يقوي الروابط بين الأفراد والمجتمعات، ويشدّ من عزائمها، وينشر الأخوة بينهم، ويحسن المعاملة، وبذلك في التفاعل الحضاري.

بـ الصدق: هو أساس الفضائل النفسية، وضرورة من ضرورات الاجتماع، كما يقول علي فضل الله: " إنّ الصدق هو ملكة نفسانية سامية، وقوة إرادة عظيمة يستطيع بها الإنسان أن يبرهن عن حسن خلقه بدون تكلف منه، وإن كانت سهلة اللفظ، فهي كبيرة المعنى، لما لها من الآثار العظيمة في حياة الفرد؛ لا بل في حياة الأمم والشعوب"³.

نستنبط من هذا القول: إنّ الصدق صفة من صفات الفرد، تظهر في معاملته مع الآخر وقيمتها كبيرة في حياة الأفراد، فهي تسهم في نشر الثقة بينهم. والصدق منجاة من الشرّ

1: المصدر السابق، ج3: 173.
2: المصدر نفسه، الجزء نفسه: 190.
3: ينظر أخلاقنا الاجتماعية، مصطفى السباعي: 85.

الفصل الثالث: السمات الحضارية في حكايات ألف ليلة وليلة

يقتصر على صحة القول أو الخبر أو الحديث، قال أبو بكر بن الأنباري: "وقولهم فلان صديق فلان... معناه؛ فلان يصدق فلان وينصحه"¹.

ويجوز أن تكون الصداقة مأخوذة من صفة الصلابة، والشدة، فتكون بمعنى قوة المودة ولجلال مكانة الصدق، وعلو شأنه، ذكر القرآن الكريم اتصاف الله تعالى بصفة الصدق في مواضع كثيرة قوله تعالى: "ومن أصدق من الله حديثاً"².

إن الصدق من صفات الله تعالى، لذلك ينبغي الاتصاف بها لينال النجاح في الدنيا، والفوز بالآخرة ويحقق التآلف بين قلوب المسلمين جميعاً، وينشر أواصر التعاون بينهم. فعلى سبيل المثال، في حكايات الليالي نجد صفة الصدق ممثلة في حكاية "علاء الدين أبي الشامات" وغيرها كثير من الحكايات، فلولا صدقه لما نجا من الموت، فقد نجاه سبحانه تعالى من الهلاك، لما تأمر عليه أحمد السراق ودبر له مكيدة واتهم بسرقة متاع الخليفة هارون الرشيد.

فالصدق هو "مادة العقل، وتوخي النزاهة"³؛ يتبادر إلى أذهاننا صدق شهرزاد، ونزاهتها في رواية الحكايات، لأنّ النزاهة روح الراوي الذي يعبر من أعماقه وهو أفضل ما يملك.

ومن الألفاظ التي تقارب الصدق في المعنى وتترجمه إلى واقع إسلامي اجتماعي مثل المحبة والثقة، والتعاون، والأمان، فنجد علاء الدين أبي الشامات متصفاً بالثقة والأمانة، وهذه الصفات مظهر من مظاهر الصدق مبین ذلك في وصفه من طرف زوجته زبيدة العودية بقولها لحسن مريم: "وعدتني بجمع شملي بزوجي علاء الدين أبي الشامات الثقة الأمين"⁴.

حكاية أخرى من حكايات الليالي جسدت صفة الصدق بشكل واضح، وهي حكاية "السقاء بمدينة بخارى" الذي دخل إلى منزل امرأة بنية السقاية، فقام بلمسها، وعندما عاد زوجها أصدقته القول وقالت له : والله إنك فعلت شيئاً يغضب الله تعالى، وإن لم تحدثني بما صنعت

1: معجم ألفاظ القيم الأخلاقية وتطورها الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم، نوال كريم زرزور: 106.
2: سورة النساء، الآية 87.
3: في الرواية الأخلاقية، جون كاروز، ترجمة إيشو الياس يوسف، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1986 : 140.
4: ألف ليلة وليلة، ج 3: 7.

الفصل الثالث: السمات الحضارية في حكايات ألف ليلة وليلة

وتصدقني في حديثك لا أقعد في بيتك ولا تراني ولا أراك".¹ فكان من الرجل أنه أصدق قوله مع زوجته فيقول "أخبرك بما فعلته في يومي هذا على وجه الصدق".²

وبذلك ينبغي للمرأة أن تكون صادقة مع زوجها ظاهرا وباطنا، وتقع منه بالقليل، إن لم يقدر على الكثير، وتقتدي بعائشة الصديقة وفاطمة الزهراء - رضي الله عنهما - والصدق ينجي صاحبه من الأذى، والمشاكل.

ونستطيع أن نؤكد بأن مشكلة العالم كله اليوم تبدأ من فقدان الصدق وانتشار الكذب... في الأقوال و في الأعمال، و في النيات، و في المظاهر، فليس غريبا إذا أن تقف الشرائع كلها متشددة في خلق الصدق، منكرة رذيلة الكذب. و الإسلام هو أشد الأديان وطأة على الكذب والكذابين وأكثرهم تنويها بالصدق والصادقين، فهو يجعل الصدق فرين التقوى فمن فقد الصدق فقد التقوى حيث قال الله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله و كونوا مع الصادقين".³

يظهر من ذلك أن الصدق مفتاح البر، والكذب مفتاح الإثم، والفجور، وهو خسة وجرأة على الله يستحق مرتكبه اللعنة والطرده من رحمته تعالى. فلو فقه الناس مكانة الصدق وما له من دور في رقي وازدهار الأمم، وريادة الحضارة بين الحضارات، والتنافس على التطور لما حادوا عن طريقه.

ج - العدل: إن العدل الذي يأمر به الإسلام ليس خاصا بالحكم والقضاء، ولا بين المسلمين فقط ولكنه عدل إنساني عام، في كل ميادين الحياة. والله تعالى يقول: "يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا هو أقرب للتقوى".⁴

1: المصدر السابق، الجزء السابق: 184.

2: المصدر نفسه، الجزء نفسه، الصفحة نفسها.

3: سورة التوبة، الآية 120.

4: سورة المائدة، الآية 8.

وكما يهدف الإسلام إلى العدل في القضاء، ويهدف إلى تحقيق العدل الاجتماعي، فالعدل يقيم مجتمعا متعاوننا متكافلا، يجد فيه كل فرد حقه، وينال حظه، وتصان فيه حرته في التفكير والتعبير، ويضمن له عيشة الكريم.

والعدالة الاجتماعية في الإسلام هي عدالة إنسانية تمتزج فيها القيم المادية بالقيم الروحية فهي ليست عدالة اقتصادية محدودة، ولكنها تتناول الفكر والسلوك، وتشمل جميع مظاهر الحياة ومقوماتها وجوانب النشاط فيها.¹

يتضح مما سبق أن العدل من القيم الدينية، التي حث عليها الإسلام، وأوجب إتباعها للفوز بجنة الخلد، والخلص من نار جهنم والعياذ بالله، فكل من ابتغى مرضاة الله سبحانه تعالى سلك طريق العدل، فهو لا يكون تحقيقه إلا في مجالس العدل، وإنما في شتى ميادين الحياة، حتى داخل الأسرة الصغيرة بين الأب وأبنائه. كما قصد بالعدل الحق الذي غلب في الاستعمال القرآني لقوله تعالى: "إن الله يأمركم بالعدل والإحسان".²

لقد أخذ العدل في الإسلام بعدا دينيا واجتماعيا، فالعدالة هي الاعتدال في الأحوال الدينية وذلك يتم بأن يكون مجتنباً للكبائر محافظاً على مروءته، وعلى ترك الصغائر، ظاهر الأمانة غير مغفل، وقيل صفاء السريرة، واستقامة السيرة في ظن العدل، كما جاءت بمعنى الإنصاف في الحكم والقضاء، قال تعالى: "وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل".³

يشغل العدل في ألف ليلة وليلة حيزا واسعا، حتى أننا نجده موجودا في أغلب حكاياتها فبداية بالحكاية الإطار، حيث كان الملك شهريار عادلا في رعيته، وما يدل على ذلك من الكتاب: "وكان الكبير أفرس من الصغير وقد ملك البلاد وحكم بالعدل بين العباد اسمه الملك شهريار".⁴

1: ينظر التسامح في الإسلام، ملتقى دولي، الجزائر أيام 23 - 24 - 25 مارس 2009: 479.

2: سورة النحل، الآية 90.

3: سورة النساء، الآية 58.

4: ألف ليلة وليلة، ج 1: 3.

الفصل الثالث: السمات الحضارية في حكايات ألف ليلة وليلة

كما تجسد العدل في حكاية "الملك النعمان وولديه شركان وضوء المكان"، فلقد اتصف الملك النعمان بالعدل وما يدل على ذلك من الحكاية: "سائر الناس أذعنت لطاعته وجميع الجبابرة خضعت لهيبته وقد عمّهم بالفضل والامتنان وأشاع بينهم العدل والأمان لأنه كان عظيم الشأن".¹

وفي حكاية "نعمة ونعم" تمثل العدل في حكم عبد الملك بن مروان عندما أرجع الجارية إلى سيدها التي أحضرها له الحجاج بن يوسف الثقفي، فعند حضور نعمة إلى قصر الملك للبحث عن نعم زوجته قال الخليفة بن مروان لنعم ونعمة: "وهبتكما لبعضكما".²

لقد رأينا كيف كان عبد الملك بن مروان عادلاً، وهو خليفة بني أمية، ليأتي عهد بني العباس وخليفتهم الرشيد الذي ساس دولته القائمة على العدل، حيث تجسّد ذلك من خلال الحكايات التي أبرزته متخفياً في زي التجار، يخرج إلى شوارع بغداد متفقدا رعيته، مكنته تلك الجولات الحكيمة من معرفة ما يشغل بال أبناء مدينته، حتى يضمن لهم العيش الهنيء.³

إنّ الأمة الإسلامية قائمة على العدل، والإنصاف، بإتباعها للتعاليم الإسلامية السمحة فهي تعطي لكل ذي حق حقه، وقيمته لأنّه كائن كرمه الله سبحانه وتعالى، وجعله خليفته في الأرض لينشر ما دعا إليه العلي القدير، ومن ذلك "العدل" لما له من أهمية في تطور الأمم ورفقيها. والفرد العربي إذا تمتع بالعدل، نما فكره، وجعل لنفسه مكانة في المجتمع، وحقق ترابطه مع غيره واشتغل بالأمور التي تعود بالفائدة عليه وعلى غيره، ويحس أنّه مسئول، وله واجب اتجاه المجتمع الذي يعيش فيه، فهو مطالب بالمشاركة في تحسين الواقع الاجتماعي والاقتصادي والثقافي، والفكري، والعلمي... وبذلك يكون له دور فعال في بناء حضارة أمة.

1: المصدر السابق، ج: 2، 243.

2: المصدر نفسه، الجزء نفسه، 348.

3: ألف ليلة وليلة في نظرية الأدب الانجليزي الوقوع في دائرة السحر، محمد جاسم الموسوي، منشورات مركز الإنماء القومي، لبنان ط 2، 1086 : 218.

الفصل الثالث: السمات الحضارية في حكايات ألف ليلة وليلة

وتنافسها في ميادين شتى، لتبقى راسخة مدة من الزمن؛ ولعل العصر الوسيط، الذي شمل الخلافة الأموية و العباسية لدليل على ذلك، بعد أن رصت الأساسات في عهد النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - بالعدل والإنصاف، الذي نشره الرسول الكريم في الدولة الإسلامية.

د - التواضع: صفة أخلاقية جلية، تحمل معاني عدّة، كالخَبْتِ؛ وهو يدل على الاطمئنان مع اللين بقرينة الانخفاض في الأرض، فالمُخَبْتُ هو المطمئن بالإيمان بالله - الخاشع، المتواضع المتضرع - يقول الله في محكم تنزيله: " وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ " ¹ أي اطمأنوا إليه. والإخبات خضوع، وخشوع، وإنصات؛ كما يستعمل بمعنى اللين، والتواضع، وكذلك النذل، والاستكانة لقوله تعالى: " وجوه يومئذ خاشعة " ² فسبحانه مدح الخشوع إذا كان من صفات المؤمن التقي في الحياة الدنيا، وهو يعني هيئة في النفس يظهر منها في الجوارح سكون وتواضع. ³

لقد تجلّى التواضع بوضوح في صفات خليفة المسلمين "هارون الرشيد"، ضمن حكايات "ألف ليلة وليلة"، وذلك في حكاية " علاء الدين أبي الشامات"، وفيها تزوج علاء الذين من زبيدة العودية، محلا إياها لابن عمّها، بعد أن حلف ثلاث مرات بالطلاق، لكنّ علاء الذين رفض تطليق زبيدة، فطالبه والدها بمهر قدره عشرة آلاف دينار، وكانت كل ليلة تقوم بتأدية نوبة، فسمع الخليفة ذلك، فأعجبه هذا الصوت، وطرقوا باب علاء الدين، وهم في زيّ الدراويش.

نلمس من هذه الحكاية أنّ هرون الرشيد قد خرج بنفسه إلى شوارع المدينة، من أجل تفقد رعيته ومعرفة حالها، رفقة وزيره جعفر وسيافه مسرور، وكانوا قد تنكروا بزيّ الدراويش لأجل الاستطلاع على خبايا أمور الناس، ومشاكلهم، وهو بذلك استطاع معرفة المشكلة التي يعاني منها علاء الدين، فحاول مساعدته بترك كل ليلة مئة دينار تحت السجادة. فهذا يدل على

1: سورة هود، الآية 23.

2: سورة الغاشية الآية: 2.

3: ينظر معجم ألفاظ القيم الأخلاقية وتطورها الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم، نوال كريم زرزور: 39 / عن تفسير الطبري ج: 1: 374.

الفصل الثالث: السمات الحضارية في حكايات ألف ليلة وليلة

وعى الخليفة بأمور الحكم، وتفقهه بتقنياته الأساسية، لكي يحقق العدل و الأمان بين أفراد رعيته ويضمن وقوفهم إلى جانبه في أيام الشدة، كما يظهر لنا تواضعه عندما يخرج بنفسه إلى شعبه ولا يكلف أحداً.

هـ - الإخلاص: بمعنى التبتل، فهو من الجانب الديني الأخلاقي الانقطاع الكلي إلى الله بإخلاص العبادة له، وهو خلق من أخلاق القرآن، وفضيلة من فضائل الإيمان.¹ والإخلاص جاءت لتدل على الصفاء، والنقاء الماديين لقوله تعالى: " وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ يُذْكَرُنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا".² والمخلص الذي أخلص العبادة من الشرك، والرياء أو أخلص نفسه وأسلم وجهه لله، وجعله مختاراً من الدنس. ومنه فالإخلاص الذي يتطلبه الإسلام هو الصدق في القول، والأمانة في العمل وأن نعمل في السرّ ما لا نستحي منه في العلانية، وهو المروءة والبعد عن الكذب، والنفاق.

تتجلى تلك السمة في حكايات "ألف ليلة وليلة"، من بينها حكاية "عمر النعمان وولديه شركان وضوء المكان"³. فالإخلاص فيها تمثل في:

- إخلاص الوقاد لابن الملك عمر النعمان "ضوء المكان"؛ الذي وجده بجانب الحمام مغمى عليه، فهو لم يعرف أنه ابن ملك، لكنه ساعده في مرضه حتى شفي، وبعد ذلك بقي مخلصاً له عندما عاد إلى بلد وملكه، ضد أعدائه.

- إخلاص الوزير دندان للملك "عمر النعمان" في حياته، وبعد مماته لولديه "ضوء المكان"، و"شركان" بعدما استلّ الحكم زوج الأخت "نزهة الزمان" منهما، وحاول قتل ابن ضوء المكان "كان ما كان".

1: ينظر المرجع السابق: 33.

2: سورة الأنعام: 139.

3: ينظر ألف ليلة وليلة، ج 1: 243 ، ج 2: 147.

- كذلك في حكاية "عزيز وعزيزة" وهي قصة ثانوية ضمن حكاية "عمر النعمان وولديه شركان وضوء الزمان"، فقد أخلصت عزيزة لزوجها بالرغم من أنه كان محبا لأخرى فهي دائما تسأله عن كل ما جرى له معها، لترشده، وتنصحه بما يفعل، دون أن تتذمر أو تكل أو تمل، حتى أنها تركت له وصية بعد موتها، لكي يَأْمَنَ شرّ الجارية.

نستنتج من ذلك أنّ سمة الإخلاص من الصفات الأخلاقية، التي تزرع المحبة بين أفراد المجتمع فأخلاص الوقاد لضوء المكان، جعله يحسن إليه، و يكرمه أحسن الكرم. وكذلك الوزير دندان، الذي لازم الملك عمر النعمان وولديه، كان مصيره أنّ "شركان" و"ضوء المكان" تشبثا به في ملكهما، وكان له الرأي في حكمهما.

أخلصت عزيزة لعزيز، بالرغم من معاملته السيئة لها، فهي قد نَجَّتْهُ من شرّ الجارية بفضل وصية تركتها له "الوفاء مليح والغدر قبيح".

كما نجد الإخلاص في حكاية "علاء الدين أبي الشامات"، متمثلا في حفظ نفسها وتمنعها عن "حبظلم بظاظة" لما اتهم بسرقة لوازم الخليفة، و أرغمت على مغادرة بيت الزوجية إلى بيت الوالي، وعندما تقرب منها حبظلم سحبت خنجرا من حياصتها وقالت له: "ابعد عني وإلا قتلتك، وأقتل نفسي"، فقالت لها أمّه خاتون "...خلي ولدي يبلغ منك مراده" فقالت: "يا كلبة في أي مذهب يجوز للمرأة أن تتزوج باثنين، وأي شيء أوصل الكلاب أن تدخل في مواطن السباع؟"¹.

و - الصبر: هو الصلابة، والشدة، والقوة، وقد انتقل من المعنى الحسي إلى المعنوي، أما معناه الأخلاقي حبس النفس عن الهوى، فالرجل الصبور هو الذي يمنع نفسه عن إعطائها شهواتها أما الصبور على الحوادث فيسمى الجلد، والجليد، والصبور من أسمائه تعالى، وقد

1: ألف ليلة وليلة، ج 3 - 391 - 392.

الفصل الثالث: السمات الحضارية في حكايات ألف ليلة وليلة

ورد لفظ الصبر في القرآن الكريم في صيغ مختلفة، كلها تدل على حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع ومما يقتضيان حبسها. قال تعالى: "واستعينوا بالصبر والصلاة"¹. فكل معاني الصبر في القرآن تدل على الحبس، وترك الشكوى من البلاء لغير الله، وترك الجزع والاستسلام لأمر الله تعالى كما أنّ العرب امتدحت الرجل الصبور على المصيبة، لأنّ الصبر من آثار القوة والتماسك، أما الاستسلام للجزع، والحزن فهو ضعف. والصبر من الصفات العامة التي يستحب وجودها في كل الرجال المحاربين؛ لأنه في ميدان السلم، والحرب يعد أول أسباب النصر، وأكثر ما جاءت لفظة الصبر مقترنة بالشجاعة في الحروب لأنّ الصبر من دواعي الظفر. قال المهلهل بن ربيعة:

خذوا حذرکم وشدوا وجدوا واصبروا للنزال عند النزال.²

وتجسدت سمة الصبر في حكايات "ألف ليلة و ليلة"، منها حكاية "الصيد والعفريت" حيث يظهر صبر الصياد على كسب قوته حتى رزقه الله من عنده ما يكفيه لبقية عمره، وتجلت صورته وهو يلقي شبكته في البحر و ينتظر الفرج من الله حيث نجد في الحكاية: " طرح شبكته و صبر إلى أن استقرت في الماء، ثم جمع خيطانها فوجدها ثقيلة"³.

تتوالى حكايات الليالي معالجة سمة الصبر، وبالخصوص حكاية "السند باد البحري" حيث برزت هذه السمة بجلاء متمثلة في صبره على الأهوال و المخاطر، التي كانت تعترض سبيله في أثناء سفراته السبع في كل مرّة، ومع ذلك لم يسأم، و لم يمل؛ بل كان بمجرد سلامته وعودته إلى دياره، والتقائه بخلافه، والغوص في حياة اللهو والترف، ينسى كل معاناته في

1: سورة البقرة، الآية 45.

2: ينظر معجم الفاظ القيم الأخلاقية وتطورها الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم، نوال كريم زرزور: 90/ من المهلهل بن ربيعة حياته وشعره: 307.

3: ألف ليلة وليلة، ج 1: 15.

سفره فيحن إلى السفر و الترحال من جديد، إذ يقول: " فإني ما وصلت إلى هذه السعادة وهذا المكان إلا بعد تعب شديد، و مشقة عظيمة، وأهوال كثيرة، وكم قاسيت في الزمن"¹.

ز - التسامح، ففكرة التسامح مبدأ قرآني جلاه رب العزة في القرآن الكريم، أتم بيانه الهدي النبوي واللافت للانتباه أنّ مادة التسامح بلفظها غير موجودة في القرآن الكريم، إلا أنه ورد فيه من الألفاظ ما يقاربها في المعنى ويترجمها إلى واقع إسلامي اجتماعي مطلوب، مثل: الإحسان - البر - الرحمة - العفو - المغفرة - الصفح - اللين. فكل صفة من هذه الصفات مظهر من مظاهر التسامح، وقد ورد ذكرها أكثر من تسعمائة مرة.

والتسامح يمثل منهاجا شاملا في العقيدة، والعبادة، والقيم، والسلوك، والمعاملة، والتفاعل الحضاري، وهو مبدأ التلازم بين الظاهر والباطن، وبين العقل والقلب. فالتسامح يكون في الدعوة فهي تقوم على مبدأ التسيير، والفتوة في التبشير. والتسامح في الإسلام ليس تسامح الذل والهوان بل هو بمعنى عدم العدوان، وتشكل قيمة مطلقة فريضة على كل مسلم، إذا فهو يمثل البر، ومقابلة السيء بالحسن، وأمر مطلوب ومرغوب ما لم يترتب عليه ظلم.

إنّ الأمة الإسلامية أحوج ما تكون إلى نشر قيم التسامح بين أفرادها، ولعل حكايات ألف ليلة وليلة أكثر تجسيدا إلى هذه السمة، وإدراكا للحاجة الماسة إلى إشاعتها بين أفراد الرعية خاصة الملك شهريار، وعائلات الفتيات اللواتي تزوجهن، ثم قتلهن ليستعيد المجتمع عافيته ويسوده الإخاء.²

ومن بين حكايات الليالي التي أبرزت سمة التسامح بوضوح " الحكاية الإطار" فقد سامح شهريار شهرزاد بعد فراغها من هذه الحكايات، طالبا منها تمنيتها بما تريده، فقالت له: "يا ملك الزمان إن هؤلاء أولادك، وقد تمنيت عليك أن تعتقني من القتل إكراما لهؤلاء الأطفال، فإنك إن

1: المصدر السابق، ج 3 : 390.

2: ينظر التسامح في الإسلام، الملتقى الدولي الجزائر، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر أيام 23 - 24 - 25 مارس 2009 : 479.

قتلتني يصير هؤلاء من غير أم، ولا يجدون من يحسن تربيتهم من النساء، فعند ذلك بكى الملك وضم أولاده إلى صدره، وقال: يا شهرزاد، والله إنني قد عفوت عنك من قبل مجيء هؤلاء الأولاد لكوني رأيتك عفيفة نقية، وحرّة ثقيّة، بارك الله فيك، وفي أبيك، وأمك، وأصلك وفرعك. وأشهد الله على أنني قد عفوت عنك من كل شيء يضرك.¹

نستخلص من ذلك أن شهرزاد مدت يدها وفتحت قلبها للملك شهريار، وتعاملت معه بسماحة نفس وسعة أفق من خلال حكاياتها المتنوعة، في حوار بينه وبينها، منتهجة ازدواجية في القصّ مبينة الدواء والدواء، وأنّ كليهما يسيران في اتجاه واحد ولا انفصال بينهما، إلا أنّ التعاليم السمحة تشكل معياراً أخلاقياً وميزاناً ثابتاً على الجميع الالتزام به، ويقوم عليه علاقاته. فشهريار قد فهم رسالة شهرزاد واسترجع ثقته بنفسه قبل ثقته بالآخرين التي فقدتها مدة ثلاث سنين.

حكاية أخرى بينت سمة التسامح بجلاء، وهي حكاية "جودر الصياد مع أخويه"، فقد تسامح جودر مع أخويه بالرغم من ألقاه به من الشرور، ولمعاملة السيئة له ولأمه، حيث باعاه إلى مجوسي الذي أخذه إلى بلاد بعيدة، إلا أنّ جودر بعد عودته التمس لهما العذر مستشهداً بقصة يوسف عليه السلام وما فعله به إخوته الذين ألقوه في البئر، وقال جودر لأخويه: "كيف فعلتما معي هذا؟ ولكن توبا إلى الله، واستغفراه فيغفر لكما، وهو الغفور الرحيم، وقد عفوت عنكما ومرحبا بكما، ولا بأس عليكما."²

ج - الكرم: إنّ الكرم صفة أخلاقية حميدة، ترفع من شأن صاحبها بين عشيرته، وهو خلق في النفس، تزين المتحلي بها، وتكسبه المجد، والثناء الحسن. قال النابغة الذبياني مادحا:

1: ألف ليلة وليلة، ج4: 434-435.

2: المصدر نفسه، الجزء نفسه: 85.

الفصل الثالث: السمات الحضارية في حكايات ألف ليلة وليلة

لهم شيمة لم يعطها الله غيرهم من الجود والأحلام غير عواذب.¹

وقد تعددت معاني الكرم، فمنها السخاء الذي يدل على العطاء، فهو قيمة أخلاقية عليا لأنه يسمو بصاحبه، ويكسبه الرفعة في القوم، والأحدوثة الجميلة، لقول النابغة الجعدي:

فتى كملت خيراته غير أنه جواد فما يبقى من المال باقيا.²

كما استعمل الكرم في المجتمع لما له من قيمة كبيرة، حيث ورد ذكره في القرآن في العديد من الآيات لقوله تعالى: "إن أكرمكم عند الله أتقاكم".³

ومن خلال قراءتنا لحكايات الليالي، تبين لنا أن معظمها جسدت سمة الكرم، غير أن المقام لا يسعنا لذكرها كلها، فسوف نختار منها ما كان لها وقع في أوساط العامة، فمنها على سبيل المثال: حكاية "الوزيرين التي فيها ذكر أنيس الجليس" حيث كان ملك البصرة يحب الفقراء والصعاليك يساعدهم، يهب المال لمن يؤمن بالله ورسوله.

أما سخاء علي نور الدين فكان يفوق الطبيعي، حيث كان يجتمع عليه أصحابه من أولاد التجار فيهبهم كل ما يطلبونه، حيث قال للوكيل: "اعلم أيها الوكيل أنني أريد إذا فضل عندك ما يكفيني لغذائي، أن لا تحملني هم عشائي." و استمر علي نور الدين في كرمه، وكل من يقول له هذا الشيء مليح، يقول هو لك هبة.⁴

نستنتج من هذه الحكاية أن علي نور الدين قد بالغ في الكرم، حتى أنفق كل ما لديه من الأموال وخسر كل عقاراته، وأصبح فقيرا معدما.

1: ينظر معجم ألفاظ القيم الأخلاقية وتطورها الدلالي نوال كريم زرزور: 145 - 146 / عن ديوان النابغة الذبياني: 41.
2: ينظر معجم ألفاظ القيم الأخلاقية وتطورها الدلالي، نوال كريم زرزور: 145 - 146 عن شرح ديوان الحماسة للمرزوقي 2: 969 .
3: سورة الحجرات، الآية 13 .
4: ألف ليلة وليلة ج1: 190 .

تمثلت سمة الكرم كذلك في حكاية " الملك عمر النعمان وولديه شركان وضوء المكان" في إكرام الوقاد ضوء المكان - عندما وجده ملقى قرب الحمام مغمى عليه - مبين ذلك في القول: " ... لا حول و لا قوة إلا بالله إني دخلت في خطيئة هذا الصبي، وقد أوصانا الرسول - صلى الله عليه وسلم - بإكرام لاسيما الغريب إذا كان الغريب مريضا".¹

ونجد أيضا الكرم في حكاية "علاء الدين أبي الشامات"، عندما توفيت العودية زوج علاء الدين، طلبه الخليفة" هرون الرشيد" ليفرج عليه، ويخرجه من حزنه الشديد، فأكرمه بالجارية " قوت القلوب " لأجل الاعتناء به، وقال له: " يا علاء الدين أنت ضيفي".² لكن علاء الدين كان أكرم من الخليفة نفسا، فعند عودته إلى قصره، وجد قوت القلوب هناك مع جواريتها وطواشيها قال لهم: " قولوا لها مرحبا، ولكن مادامت عنده ما يدخل القصر الذي أنت فيه الآن لأن ما كان للمولى لا يصلح أن يكون للخُدام".³

وتتمتع حكاية " علي شار مع زمرد الجارية" بسمة الكرم أيضا، يكون ذلك واضحا في كرم زمرد التي كانت تقيم الولائم، وتبسط الأسمطة على رأس كل شهر ليأكل منها كل الفقراء من أهل المدينة، التي كانت ملكة عليها، وعابري السبيل، " فزمرد قد أمرتهم بأن يأتوا لها بالمهندسين والبنائين، وأن يبنوا لها تحت القصر ميدانا طوله فرسخ وعرضه فرسخ، ففعلوا ما أمرتهم به في أسرع وقت، فجاء الميدان على طبق مرادها، فلما تمَّ ذلك الميدان نزلت فيه وضربت لها قبة عظيمة، و صفت فيها كراسي للأمرء، وأمرت أن يُمدوا لها سماطا من سائر الأطعمة الفاخرة".⁴ وممن وُصفوا بسمة الكرم، والسخاء " السند باد البحري"، الذي كان كلما عاد من سفرة من سفراته، يكثر الصدقة للفقراء، و المحتاجين، ومن بينهم السند باد الحمال

1: ألف ليلة وليلة ج 1، 288 .
2: المصدر السابق، ج 2: 382 .
3: المصدر نفسه، الجزء نفسه، 384 .
4: المصدر نفسه ج 3 : 90 .

الفصل الثالث: السمات الحضارية في حكايات ألف ليلة وليلة

الذي كان يجتمع به عند عودته من كل سفرة؛ ففي حكايته عن سفراته له فيقول: " ...فرحت بسلامتي وعودتي إلى بلادي، وأهلي، ومدينتي، ودياري، وتصدقت ووهبت، وكسوت الأرامل، والأيتام، وجمعت أصحابي، وأحبائي، ولم أزل على هذه الحالة في أكل، وشرب، ولهو، وطرب "1. كما كان في غاية الكرم مع السند باد الحمال، فيأمر له بعد تمام كل حكاية بمائة مثقال من الذهب " ثم إن السند باد البحري عشى السند باد الحمال، وأمر له بمائة مثقال ذهباً، وقال له أنستنا في هذا النهار"2.

ط - **سمة العقل**: هو نعمة من نعم الله، أكرم به عبده الإنسان، وفضله، وميزه به عن سائر المخلوقات، ليجعله خليفته في الأرض، فينبئ طريق الخير و يتبعه، وطريق الشر ويحيد عنه. وتظهر حكمة العاقل في حكايات حيوانات الغابة، التي كانت تخاف ظلم بني آدم، وتحذر منه غير أنها تقع دائماً في شباكه، وما ذلك إلا بسبب فقدان العقل. في إحدى حكايات الليالي عن الحيوان نجد الشبل أصابه الغرور، وظن أنه سوف ينجو من ابن آدم بمجرد حصوله على بيت يأوي إليه جهلاً منه أن باني مأواه هو ابن آدم ذاته، فبعد أن دخل الشبل الصندوق، أقفله عليه النجار وسمره وقال له: " إنك وقعت في القفص، وكنت أخبت الوحوش، فقال له يا أخي ما هذا الخطاب الذي تخاطبني به؟ فقال له النجار: اعلم يا كلب البر إنك وقعت فيما كنت تخاف منه وقد رماك القدر ولم ينفكك الحذر"3.

ي - **العلم**: إن العلم نعمة لا يعلم قيمتها وأهميتها إلا من فقدتها، فهو ينير العقل، ليبلغ به الإنسان آفاق اللامحدود، وقد ورد ذكره في العديد من الآيات القرآنية، واصفة قيمة العلم،

1: المصدر السابق، ج 3: 417 .

2: المصدر نفسه، ج 3: 399 .

3: المصدر نفسه ج 2: 154 .

وممجة مكانة العلماء، قال الله تعالى: "يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ"¹.

وقد بينت حكايات الليالي قيمة العلم، ودوره الفعال في بناء حضارات الأمم، و لا تكاد تخلو أيُّ حكاية منها، من إظهار فضل العلم في رفع التحدي؛ بداية من الحكاية الأمّ، فبطلتها " شهرزاد"، التي كانت مُلِمَّةً بأنواع العلوم، والفنون، وتاريخ وأخبار الأمم الماضية، والدليل على ذلك من الحكاية "قد قرأت الكتب والتواريخ، وسير الملوك المتقدمين، وأخبار الأمم الماضين، قيل إنها جمعت ألف كتاب من كتب التواريخ، المتعلقة بالأمم السالفة، والشعراء"².

وكذلك تتجلى سمة العلم في حكاية "الملك عمر النعمان وابنيه شركان وضوء المكان" حيث كانت ابنته نزهة الزمان عالمة، برعت في شتى العلوم، فحين سألتها شركان عن العلوم أجابته بقولها: "أنا أعرف الحكمة، والطب، ومقدمة المعرفة، وشرح فصول بوقراط جالينوس الحكيم وشرحته أيضا، وقرأت التذكرة، وشرحت البرهان، وطالعت مفردات ابن البيطار وتكلمت على القانون لابن سينا، وحللت الرموز، ووضعت الأشكال، وتحدثت في الهندسة وأتقنت حكمة الأبدان، وقرأت كتب الشافعية، والحديث، والنحو، وناظرت العلماء، وتكلمت في سائر العلوم وألفت في علم المنطق، والبيان، والحساب، والجدل، وعرفت الروحاني، والميقات وفهمت هذه العلوم كلها. ثم قالت: اتتني بدواة، وقرطاس حتى أكتب كتابا يسليك في الأسفار ويغنيك عن المجلدات، والأسفار"³.

1: سورة المجادلة الآية11.

2: ألف ليلة وليلة، ج: 1 : 7

3: المصدر نفسه، ج: 1: 302 - 303.

ومن ذلك يتبين أنّ نزهة الزمان كانت من العالمات، لأنها متفهمة في كل العلوم، فهي ابنة ملك ولا شك أنه وفر لها كل سبل التحصيل العلمي، ولأنه على دراية بقيمة العلم، ودوره في رقي الأمم، ومن وسائل تأريخ بطولات العلماء على مر العصور لتتشعب بها الأجيال المتواليّة.

امرأة أخرى أوضحت الليالي علمها، الذي أبهر "علي شار" شاريها، حيث أجادت في كل العلوم، "تقرأ القرآن العظيم بالسبع قراءات، وتروي الحديث بصحيح الروايات، وتكتب بالسبعة أقلام، وتعرف من العلوم ما لا يعرفه العالم العلام، ويدها أحسن من الذهب والفضة فإنها تعمل الستور والحريز"¹.

وأحسن مثال على المرأة العالمة هي الجارية "تودد" في حكاية" أبي الحسن وجاريتّه تودد" التي طلبت من سيدها أن يبيعهما للخليفة هارون الرشيد، من أجل تحسين وضعيتهما الاجتماعيّة على أن يكون ثمنها عشرة آلاف دينار، وأن يتم مناظرتها مع العلماء، والأطباء الفقهاء والحكماء، والمنجمين، والنظام، ففاقتهم بالشرح والتدليل من القرآن، والحديث، والشعر فلما سألها أمير المؤمنين عما تحسنه من العلوم أجابته قائلة: "إني أعرف النحو، والشعر، والفقّه والتفسير، واللغة، وأعرف فنّ الموسيقى، وعلم الفرائض، والحساب، والقسمة، والمساحة وأساطير الأولين، وأعرف القرآن العظيم، وقد قرأته بالسبع، وبالعشر، والأربع عشرة وأعرف عدد سورته، وآياته، وأحزابه، وأنصافه، وأرباعه، وأثمانه....."². وبعد تمام المناظرة بين العلماء في كل الاختصاصات و الجارية تودد، قال لها الرشيد: "بارك الله فيك، ورحم من علمك"³. هكذا كان علم الجارية "تودد" سببا في عودتها إلى سيدها، بعد أن أعطاهما الخليفة

1: المصدر السابق، ج3 : 77
2: المصدر نفسه، ج3 : 217 - 218 .
3: المصدر نفسه، ج3: 256 .

خمسة آلاف ديناراً ولسيدها مائة ألف دينار، و ليس هذا فقط؛ بل جعله نديماً له على طول الزمان، وخصه بمرتب شهري قيمته ألف دينار.

لم يقتصر العلم على نساء حكايات الليالي؛ بل تعداها إلى رجالها مثل الخلفاء كعبد الملك بن مروان والرشيد، وولديه - الأمين والمأمون - ، من عامة الناس، فخير مثال هو أبي الحسن سيّد الجارية "تودد" - المشار إليها سابقاً - " فقد كُبر ونشأ، وانتشأ، وتعلم القرآن العظيم وفرائض الإسلام، وأمور الدين القويم، والخط والشعر، والحساب والرمي بالنشاب".¹

2 - السمات المادية:

للجانِب المادي دور مهم في بناء الحضارة، والذي شكّل في حكايات الليالي رموزاً عديدة أسهمت بشكل أو بآخر في ترك بصمات شاهدة على ازدهار تلك الحضارات إبان تلك العصور لا تزال قائمة؛ تشير إلى مدى عبقرية منجزها. وأبرز هذه الشواهد على سبيل المثال لا الحصر:

أ - العمران:

يقول ابن خلدون في مقدمته: " العمران أنواع: بدوي، وحضري، وبشري، وهو في الأساس ذلك الاجتماع الإنساني، وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال مثل التوحش والتآس والعصبيات وأصناف التغلّبات للبشر بعضهم على بعض".² ويضيف قائلاً: العمران ما نقله البكري في بناء المدينة المسماة ذات الأبواب تحيط بأكثر من ثلاثين مرحلة وتشتمل على

1: المصدر السابق، الجزء السابق: 215 .

2: ينظر المقدمة، ابن خلدون، دار الكتاب العربي، لبنان 2004 : 41.

آلاف باب، والمدن إنما اتخذت للتحصن والاعتصام كما يأتي. وهذه خرجت عن أن يحاط بها حصن ولا معتصم".¹

والمهم في الأمر كله التعريف الأخير للعمران، الذي هو أساس الحضارات باعتباره الركيزة التي يقوم عليها البنيان، فمن القاعدة يبدأ العلو تدريجيا حتى الوصول إلى القمة، ونعني بها مقام التطور والازدهار؛ فالعمران جزء لا يتجزأ من المشروع الحضاري لأجل أن يكون مترابط ومتكامل الأجزاء، يحقق انسجاما من خلال تفاعل بعضها مع بعض.

"يكون الإبداع في العمران أو في الميادين الأخرى كالاختراع في ابتكار أشكال تجسد المفاهيم الأساسية وفق أحكام الزمن والمكان".²

إذن فالعمران سمة حضارية تطرح إشكالية الأصالة والمعاصرة، وتركز على محاولة ضبط وفهم العناصر والعوامل، التي تسيطر وتشارك في عملية إنتاج المدينة محاولة إيجاد أنسب وأفضل الصيغ والأشكال لنمو عمران منسجم. وبالأخص العمارة العربية الإسلامية ذات المعالم الأثرية الخالدة، وتشكيلاتها، وألوانها، وزخرفتها.

ولقد ظهر العمران بشكل وافر في حكايات الليالي الشهرزادية، وما دليل ذلك إلا اهتمام تلك الأمم بهذا الجانب بعدّه من المقومات الأساسية لبناء الحضارات؛ لأن "العمران مظهر من المظاهر التي تبرز ثقافة أهل المدينة، ونوقهم العام الذي يكون في الغالب مشتركا على اعتبار أنهم مجموعة خضعت لمؤثرات متشابهة أملت عليها نمطا من السلوك، وبذلك يتميز عمران المدينة عن عمران غيرها"³، حيث لا تكاد أي حكاية تخلو من هذه السمة الحضارية الهامة ففي حكاية الحمال والثلاث بنات جُسدت العمارة من خلال القول: "أنت دارا مليحة وقدامها

1: ينظر المرجع السابق: 42.

2: إشكالية العمران والمشروع الإسلامي، إبراهيم بن يوسف، مطبعة أبو داود الجزائر، د ط 1992 : 133.

3: المدينة في الرواية العربية الجزائرية، خليفة قرطي، رسالة ماجستير الجزائر 1994 - 1995 : 21.

الفصل الثالث: السمات الحضارية في حكايات ألف ليلة وليلة

رحبة فسيحة وهي عالية البنيان، مشيدة الأركان، بابها بغلافين من الأبنوس مصفح بصفائح الذهب الأحمر".¹

أوضحت حكايات الليالي أنّ عصرها كان عصر القصور، والأبنية الشامخة والفاخرة مما يدل على تطور، ورقي حضارة تلك العهود، فمثلا دولة الملك عمر النعمان في حكاية "عمر النعمان وولديه شركان وضوء المكان"، التي كان يعمها العدل والأمان، امتازت بقصورها العالية والكثيرة (فقد بنى عمر النعمان اثني عشر قصرا على عدد شهور السنة، وجعل في كل قصر ثلاثين مقصورة، فكانت جملة المقاصير ثلاثمائة وستين مقصورة، وأسكن جواريه في هذه المقاصير).²

ذكرت الليالي العمران، وتفننت في وصفه أيضا في حكاية "الملك قمر الزمان بن الملك شهرمان" والدليل من الحكاية قول الوزير للملك: "والرأي عندي أن تنقل ولدك من هذا المكان إلى القصر في السراية المطلة على البحر، ويمشون إليه على ممشاة في وسطه، عرضها عشرون ذراعا، وبدائر القصر شبابيك مطلة على البحر، وأرض ذلك القصر مفروشة بالرخام الملون، وسقفه مدهون بأفخر الدهان من سائر الألوان، منقوش بالذهب واللازورد، ففرشوا لقمر الزمان البسط الحريري، وألبسوا حيطانه الديباج، وأرخوا عليه الستائر المكحلة بالجواهر".³

وكثيرا ما يستمتع القارئ بوصف فني رائع لبعض البنايات العمرانية، والقصور، والمدن ودروبها كما موضح في حكاية "بندورة بنت الجوهرى مع جبير بن عمر الشيباني، وما جاء فيها على لسان علي بن منصور الدمشقي - هو من أحضره مسرور من أجل الترفيه عن الخليفة "هرون الرشيد في إحدى الليالي - بقوله: "لي مدة وأنا أقدم من بغداد إلى البصرة ولم أعرف

1: ألف ليلة وليلة ، ج 1 39 - 40.

2 : المصدر نفسه، الجزء نفسه : 244 (بتصرف).

3: المصدر نفسه، ج 2 : 253 - 254.

في البصرة سوى من القصر إلى البستان، ومن البستان إلى القصر... لبست أفخر ثيابي وتمشيت في جانب البصرة وأنت تعلم يا أمير المؤمنين سبعين دربا طول كل درب سبعين فرسخا بالعراقي فتهت في أزقتها ولحقتني العطش، فبينما أنا ماش يا أمير المؤمنين، فإذا بابا كبيرا له حلقتان من النحاس الأصفر مرخية عليه ستائر من الديباج الأحمر وفي جانبه مصطبتان وفوقه مكعب لدوالي العنب وقد ظللت على ذلك الباب ووقفت أتفرج عليه".¹

جسد العمران أيضا في آخر حكاية من حكايات الليالي وهي حكاية "معروف الإسكافي" بشكل يبهر القارئ حيث برعت شهرزاد في تصوير المدينة التي دخلها معروف قائلة: "قرأى مدينة بأسوار عالية، وقصور مشيدة، وأبنية مزخرفة، وهي نزهة للناظرين فدخل من باب المدينة فرأها تشرح القلب الحزين".²

وعموما فالعمارة في الليالي تنحصر " في حياة القصور وجوار السلاطين، الذين يتمتعون برخاء العيش، واللهو، والطرب، فيها وفرة في جميع الأوساط".³ فالبستاني يملك جميع الفاكهة والخضر العجيبة، كما تتحلى القصور بجميع الكنوز، والأحجار الكريمة، وأثاث مصنوع من الأخشاب الثمينة، مرصع بمختلف المعادن. إذا فالعمارة تمثل بعدا حضاريا، فهي تلخص النمط الأصلي للعمارة العربية الإسلامية.

بج - اللباس:

يعدّ اللباس سمة حضارية مميّزة للشعوب، فلكل منها لباسها الخاص، الذي تنفرد به عن غيرها، فهو فنّ من الفنون قابل للتغيير فيه عبر الأزمنة، وأحسنه من حافظ على الأصل فيه مع

1: المصدر السابق، ج 3: 104.

2: المصدر نفسه، ج 4: 394.

3: القصة الشعبية ذات الأصل العربي، روزلين ليلي قريش، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر مارس 2007: 214.

الفصل الثالث: السمات الحضارية في حكايات ألف ليلة وليلة

التجديد وفقا للعصرنة، ولذلك فقد اهتمّ العرب بالملابس اهتماما كبيرا "فوصفوها، وذكروا أنواعها، ومادة نسيجها، وألوانها ويعدّ القرآن الكريم، والأحاديث النبوية، وكلام الصحابة ودواوين الشعر، وكتب الفقه والسيرة والتفسير، والتاريخ، والأدب والرحلات من أهمّ مصادر دراستها، وتأتي المعاجم في الصدارة لأنها استوعبت كثيرا منها، وذكرت النصوص التي توضحها، وتبيّن زمن استعمالها، ومكان شيوعها، وطريقة ارتدائها"¹.

نستشف أنّ اللباس حضّي بالاهتمام في المصادر المتنوعة بداية من أفصح المصادر واصفة إياه، ذاكرة أهميته، لما له من دور في التمييز بين الأقاليم، فهو يعبر عن حياة المجتمعات وما تزخر به من تقاليد في مختلف المناسبات.

ألقت البحوث في الملابس ضوءا على الحياة الاجتماعية، والاقتصادية، وتصور الحضارة التي عاش في ظلها العرب، والمسلمون أصدق تصوير، كما تعدّ أهم المؤشرات على حضارات الأمم، وقد ذكر اللباس في القرآن الكريم في العديد من الآيات لقوله تعالى: " جَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمْ مِنَ الْحَرِّ"².

فاللباس تجسيد للبيئة، ومعطى ثقافي، ودليل رمزي، يوحي بجماليات الأحوال الاجتماعية فهو يلعب دورا فعّالا في التطور الفنّي، ويعبر عن الذوق الرفيع لمصمّميه، من حيث اللون وخبوط النسيج، وطريقة التفصيل، كما جاء في الملتقى الوطني للباس التقليدي أن " الملبوسات تدخل في تفاعل التثقف المستمر، ويمكن العودة إلى تلك التي أسهمت فيها عناصر حضارية وافدة طعّمت المحلي وجعلته ذوقا متطورا بتطور الإنسان في الحضارات"³.

1: معجم الملابس في لسان العرب، أحمد مطلوب، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1 1995 :7

2: سورة النحل الآية81.

3: المهرجان الوطني للباس التقليدي و الفنون الشعبية، الديوان البلدي للثقافة والسياحة، غابّة من 23 إلى 31 جويلية 2000 : 39.

لقد عرّفنا الحكايات بما تزخر به المجتمعات العربية من مختلف الأزياء كالألبيسة المرتبطة بالبيئة، في تلك العصور. ومن بين هذه الحكايات التي جسدت اللباس العربي الأصيل سواء كان للرجل أو المرأة هي حكاية " الوزير نور الدين وأخيه شمس الدين"، بالنسبة للباس حسن بن نور الدين: " وكان عليه الطربوش والعمامة، والفرجية المنسوجة بالذهب".¹

أما لباس ابنة عمه " ست الحسن" فقد كان كالآتي: " نحرها بالحلي والحلل، من لباس الملوك الأكاسرة، ومن جملة ما عليها ثوب منقوش بالذهب الأحمر، وفيه صور الوحوش والطيور، وهو مسبول عليها، وفي عنقها يساوي الألوف، وقد حوى كل فص من الجواهر".²

ونجد اللباس في حكاية " الملك عمر النعمان وولديه شركان وضوء المكان" ممثلاً في لباس نزهة الزمان عندما أخذها التاجر إلى شركان بكسوة غالية الثمن: " أيقظ نزهة الزمان وأحضر لها قميصاً رفيعاً وكوفية بألف دينار، وبذلة تركية مزركشة بالذهب، وخفا مزركشا بالذهب الأحمر، مرصعا بالدر والجواهر، وجعل في أذنيها حلقة من اللؤلؤ بألف دينار، ووضع في رقبتها طوقاً من الذهب، وقلادة من العنبر".³

إنّ الحكايات مليئة بأنواع الألبسة، بالغت القاصة في وصفها، فجاءت خارقة للعادة، يخير القارئ في تخيلها، ونظنها أنها ما فعلت ذلك سوى لتبهر شهریار، فهاهي ذي تصف لباس شمس النهر في حكاية " علي بن بكار مع شمس النهار" قائلة: " لباس أزرق، وإزار من الحرير، بطراز من الذهب، وفي وسطها حياصة مرصعة بأنواع الجواهر".⁴

1: ألف ليلة وليلة، ج 1: 99.
2: المصدر السابق، الجزء السابق: 100.
3: المصدر نفسه، ج 1: 304.
4: المصدر نفسه، ج 2: 183.

الفصل الثالث: السمات الحضارية في حكايات ألف ليلة وليلة

وصفت شهرزاد سرج الفرس العربي التي كان يمتطيها الفرسان أثناء الحروب، أو أيام السلم أي في المناسبات، ومثالا على ذلك تصويرها لجواد شركان في حكاية " الملك عمر النعمان وولديه شركان وضوء المكان" قائلة: " خرج في وجهه فارس المسلمين شركان وهو راكب على جواد أشقر، يساوي ألفا من الذهب الأحمر، وعليه عدة مزركشة"¹.

وفي حكاية "علي بن بكار مع شمس النهار" تصف بغلة تركبها شمس النهار: " بسرج مزركش، له ركاب من الذهب، وعليها إزار رفيع، وفي وسطها زنار من حرير مطرز بالذهب"².

لقد ارتبط اللباس في فنياته بالحياة المعيشية، وأسلوب التفكير، وأسس الشريعة الإسلامية فأعطى لنا حقيقة هذه المجتمعات، وإسهامه في تهذيب الذوق، وليكون بذلك سمة حضارية لها أهميتها في تمييز الشعوب الإسلامية عن غيرها.

ج - العادات والتقاليد:

حين نطالع حكايات "ألف ليلة وليلة" نجد أنفسنا أمام كتاب حياة الشعوب، بكل حيويتها وتنوعها، فنلاحظ مشاهد مدهشة في الوسط الاجتماعي، والسياسي، والعلمي، متمثلة في العادات والتقاليد التي ميزت كل شعب عن غيره. فقد ميزت الليالي الأقوام في ذلك العصر عن باقي العصور بفضل ما حوته من عادات وتقاليد. وهي مجسدة في حكاية "الوزير نور الدين وأخيه شمس الدين" مثلا حيث وصفت شهرزاد تقاليد الزفاف قائلة: " واصطفت جميع نساء الأمراء والوزراء، والحجاب صفي، وكل امرأة معها شمعة كبيرة، موقدة مضيئة، وكلهن ملثمات وصرن صفوفًا يمينا وشمالا من تحت المنصة إلى صدر اللوان الذي عند المجلس

1: المصدر السابق، الجزء السابق: 8.

2: المصدر نفسه، الجزء نفسه: 182.

الفصل الثالث: السمات الحضارية في حكايات ألف ليلة وليلة

التي تخرج منه العروسة... ثم إنَّ المغنيات ضربين بالدفوف، وأقبلت المواشط وبنّت الوزير بينهن وقد طيبنها، وعطرنها، وأبسنها أجمل ثيابها، وأحطن نحرها بالحلي والحلل من لباس الملوك الأكاسرة"¹.

ومن العادات أيضا التي وردت في الحكايات، عادة تسمية المولود في حكاية" النعمان وولديه شركان وضوء المكان" عندما أنجبت نزهة الزمان بنتا أرسلت في طلب شركان، فلما رآته قالت له: هذه ابنتك فسمها ما تريد، فقال: " عادة الناس أن يسموا أولادهم في سابع يوم ولادتهم"².

اهتمت كذلك حكايات الليالي بعادات أخرى للشعوب الإسلامية، لأنها تشكل جزءا من حياتها الاجتماعية، تمثلت في مراسم الجنازة؛ نجد ذلك في حكاية " الوزيرين وأنيس الجليس" فعندما توفي الوزير "الفضل بن خاقان" قام ولده "علي نور الدين" بإقامة له جنازة مهيبة... انطلق بالشهادتين وشهق فكتب من أهل السعادة فعند ذلك امتلأ القصر بالصراخ ووصل الخبر إلى السلطان وسمع أهل المدينة بوفاة الفضل بن خاقان فبكى عليه الصبيان في مكاتبهم ونهض ولده علي نور الدين وجهزه وحضر الأمراء والوزراء وأرباب الدولة وأهل المدينة مشهده وكان ممن حضر الجنازة الوزير المعين بن ساوى وأنشد بعضهم عند خروج جنازته أبيات من الشعر"³

ومثال آخر في حكاية" علي شار وزمرد الجارية" عند وفاة والد "علي شار" بكى عليه وانتحب " ثم أحد في تجهيزه على ما يجب ومشيت في جنازته الأكابر والأصاغر، وصار

1:المصدر السابق، ج:1: 100.
2: المصدر نفسه ، الجزء نفسه : 321.
3: المصدر نفسه، الجزء نفسه: 189.

الفصل الثالث: السمات الحضارية في حكايات ألف ليلة وليلة

القراء يقرؤون حول تابوته، وما ترك في حقه إلا وفعله، ثم صلوا عليه وواروه التراب وكتبوا على قبره هذين البيتين:

خُلِقَتْ مِنَ التُّرَابِ فَصِرَتْ حَيًّا وَعُلِمَتْ الْفَصَاحَةَ فِي الْخُطَابِ

وَعُدَّتْ إِلَى التُّرَابِ فَصِرَتْ مَيِّتًا كَأَنَّكَ مَا بَرِحْتَ مِنَ التُّرَابِ¹

ومن التقاليد التي نجدها في المجتمعات الإسلامية قبل غيرها، تلك التي تميز بها أبناء الملوك، وحتى البسطاء من الرعية، وهي سمة "الفروسية" التي تقترن بالفحولة والبطولة تظهر جلية في المواقف الصعبة كالحروب، والألعاب الرياضية كلعبة الكرة والصولجان التي اشتهرت في زمن الخليفة "هرون الرشيد"؛ وهذه السمة ارتبطت بالإسلام كعقيدة ترشد وتربي الأفراد منذ الصغر، فكان لزاما على الأبناء أن يشبوا عليها، حيث يعودهم الآباء علي امتطاء الخيل والرمي بالنشاب حيث ورد في الأثر: "علموا أولادكم الرماية والسباحة وركوب الخيل".

وخير مثال من الحكايات، التي جسدت سمة الفروسية حكاية "الملك النعمان وولديه شركان وضوء المكان" مبينا في كتاب "بيان شهرزاد": "إنَّ الحرب بين الذات المسلمة (العربية، التركية، الفارسية) وآخرها الصليبي، تنتج بالضرورة صورا مسكوكة للذات والآخر هكذا تبدو الصلة بين الفريقين (الجيش الإسلامية بقيادة شركان وضوء المكان من جهة وجيوش الصليبيين من جهة ثانية) نموذجا لسجال الثنائيات القيمة المتناقضة في أثناء الأسلوب النوعي، من مثل: القوة/الوهن، الشجاعة/الجبن، الشهامة/الخسة، الفروسية/اللؤم..."²

1: المصدر السابق، ج3 : 73.

2: بيان شهرزاد التشكلات النوعية لصور الليالي، شرف الدين ماجدولين، المركز الثقافي العربي، المغرب ط1 2001 : 209.

يظهر من ذلك فروسية "النعمان" وولديه "شركان، وضوء المكان" من خلال معاملتهم مع العدو الإفرنجي من خلال ثنائيات " القوة/ الوهن" و " الشجاعة/ الوهن" و "الفروسية/ اللؤم". فالمسلمون يتبعون طرق مشروعة في الحرب، في حين يتخذ الكفار سبل غير مشروعة، ومثال على ذلك في الحكاية ذاتها، فشركان تقابل مع الملك أفريدون (الإفرنجي) في نزال وجها لوجه " ثم حمل كل منهما على صاحبه فصار الاثنان كأنهما جبلان يصطدمان أو بحران يلتطمان"¹.

وقول ضوء المكان: " بالأمس كان قتال أخي، واليوم قتالي وأنا بشجاعتك لا أبالي ثم خرج وبيده صارم وتحته حصان كأنه عنتر في حومة الميدان وذلك الحصان أدهم مغبر..."² في حين نجد أفريدون عندما لمس قوة المسلمين، اتفق مع أمه " شواهي ذات الدواهي" على التسلل إلى معسكرهم، والظهور في صورة ناسك متعبد: " ...بعد نومهم صارت يقظانة وحدها في الخيمة ونظرت إلى شركان فوجدته مستغرقا في النوم فوثبت على قدميها كأنها دبة معطاء أو آفة ثقطاء وأخرجت من وسطها خنجرا مسموما لو وضع على صخرة لأدابها ثم جردته من غمده وأتت عند رأس شركان وجردته على رقبته فذبخته وأزالت رأسه عن جسده..."³.

د - الممن:

أظهرت حكايات "ألف ليلة وليلة" حرفا كثيرة، مرتبطة بالزمان والمكان كالصيد وأخرى تحدد مرحلة التطور من بداوة إلى استقرار زراعي، وطرق الغرس والري، ونمو

1: ألف ليلة وليلة، ج 2: 8.
2: المصدر نفسه، الجزء نفسه: 11.
3: المصدر ذاته، الجزء ذاته: 13.

الفصل الثالث: السمات الحضارية في حكايات ألف ليلة وليلة

النباتات، وحصاده وأوقاته، ومواسمه، ومن تمدن إلى صناعة كصناعة النسيج، والحياكة والتطريز، وعملية تصليح الأحذية، وصناعة الفخار، وصناعة الخبز والحلويات، بالإضافة إلى مختلف المهن في المدن بأصولها وتقاليدها، وآدابها كأساليب البيع والشراء في حركة التجارة.

لقد أخذت مهنة التجارة حصة الأسد في حكايات ألف ليلة وليلة، لما لها من أهمية في حياة الفرد والمجتمع، فأغلب شخصيات الليالي كانوا تجاراً، وأول حكاية افتتحت بها شهرزاد حكاياتها هي حكاية "التاجر والعفريت"، ثم حكايات أخرى برزت فيها تلك المهنة مثل حكاية "علاء الدين أبي الشامات"، الذي كان ابن شاه بندر التجار، إلا أنه مُنع من ذلك خوفاً عليه، لكنّ الابن أصر وخرج للتجارة: "لابد لي من السفر إلى بغداد بمتجر، وإلاّ خلعت ثيابي ولبست ثياب الدراويش".¹ يقول ابن خلدون: (التجارة هي محاولة الكسب بتنمية المال بشراء السلع بالرخص وبيعها بالغلاء أيام كانت السلعة من دقيق أو زرع أو حيوان أو قماش).² وقوله أيضاً: "التجارة تنمية المال بشراء البضائع، ومحاولة بيعها بأعلى من ثمن الشراء، إما بانتظار حوالة الأسواق أو نقلها إلى بلد هي فيه أنفق وأغلى".³

يتضح من القولين: إنّ التجارة هي حرفة يمتنها الفرد من أجل الكسب، وتحقيق الربح والمعاملات بين الباعة، التي تأخذ مكاناً واحداً كالسوق، أو تشمل عدة أماكن في مختلف البلدان.

كان السفر ومازال إحدى وسائل التجارة، وهذا ما جسّدته لنا "ألف ليلة وليلة"، التي تعد في أحد وجوهها كتاب رحلات ومغامرة، من أجل تحقيق الكسب والربح، وأفضل مثال على ذلك حكاية "السند باد وسفراته السبع". في عهد الخليفة "هرون الرشيد" الذي ما كان يخرج في سفره إلا تاجراً، فهو تاجر ابن تاجر. فيتخذ البحر معبراً له من جزيرة إلى جزيرة ليبيع

1: المصدر السابق، الجزء السابق: 362.

2: ينظر المقدمة، ابن خلدون: 366. (بتصرف).

3: المرجع نفسه، الصفحة ذاتها.

الفصل الثالث: السمات الحضارية في حكايات ألف ليلة وليلة

ويشتري:" فعند ذلك همت فقمت واشتريت لي بضاعة ومتاعا وشيئا من أغراض السفر، وقد سمحت لي نفسي بالسفر في البحر... وقد مررنا بجزيرة بعد جزيرة، ومن بحر إلى بحر، ومن بر إلى بر، وفي كل مكان مررنا به نبيع و نشترى، ونقايض البضائع فيه".¹

ونجد مهنة التجارة في حكاية" معروف الاسكافي"، التي شاءت الأقدار أن يتخلى عن مهنته الأصلية - تصليح الأحذية - ويزاول مهنة التجارة عندما رحل من بلده: " ... ولما دخل السراية قعد على الكرسي، وقال ادخلوا أحمال الذهب في خزانة عمي الملك، وهاتوا أحمال الأقمشة فقدموها له وصاروا يفتحونها حملا بعد حمل ويخرجون ما فيها، حتى فتحوا السبعمائة حمل".²

يظهر جليا من ذلك أنّ التجارة شكلت مهنة شعبية رئيسة مارستها المجتمعات المسلمة ومثلت عنصرا هاما في تطور ورقي الشعوب. وزيادة على أنّ التجارة هي حرفة الكسب والربح فهي أيضا كانت وسيلة من وجهة تسعى إلى (تحقيق الجانب المعرفي بواسطة تبادل الآراء، وقد كان ذلك واضحا في حكاية" سيف الملوك وبديعة الزمان" " حين ينقد سيف الملوك ابنة ملك الهند فيعرض عليه أن يأخذ منه ما شاء من المال، لكنّه يرفض قائلا: "غرضي أن أتفرج في هذه المدينة..."³، ومن وجهة أخرى إلى نشر الدعوة الإسلامية، كما أشارت إلى ذلك ماجدة حمود:" ومن المعروف أنّ كثيرا من بلدان آسيا قد أسلم عن طريق التجار المسلمين نظرا لما جسده من قيم إسلامية".⁴

1: المصدر السابق، ج3: 392.

2: المصدر نفسه، ج4: 418.

3: ينظر صور الآخر في التراث العربي، ماجدة حمود، الدار العربية للعلوم، بيروت ط1 2010: 212.

4: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

ومن تمّ فالتجارة لعبت أدوارا عديدة في شتى جوانب الحياة الاجتماعية، وعلى وجه الخصوص كسبا وربحا ونشرا للدين الإسلامي، وبذلك كانت عماد بناء صروح الحضارة العربية الإسلامية.

١- الكتابات الأدبية:

إنّ الأدب فن ورسالة توجيهية، ووعظية، وإرشادية، يقول ابن خلدون في مقدمته: "الأدب هو حفظ أشعار العرب وأخبارها والأخذ من كل علم بطرف"¹.

نجد أنّ كتاب "ألف ليلة وليلة" قد أولى أهمية كبيرة لأخبار العرب، وأشعارهم، ونصائح علمائهم، وبطولات أمجادهم على لسان القاصة شهرزاد التي ألّمت بمختلف كتب التاريخ وسير الملوك، وأخبار الأمم الماضية، حيث كان هذا الكتاب في حد ذاته أدبا شعبيا، ينقل إلينا كنوزا من شتى أصقاع الدنيا ضمن رحلة طويلة قادتنا فيها إلى عوالم عجيبة، وغريبة، وهزلية وأسطورية إذ كانت كتاباته بأسلوب مشوق يجمع بين الواقع والخيال.

ربط أسلوب الحكايات بين النثر والشعر في أغلب الحكايات، مشيرا إلى بلاغة وبراعة في القص مؤثرا بذلك في قارئه، ففي حكاية "أنس الوجود والورد في الأكمام" بلاغة الشعر في إيصال الرسالة إلى صاحبها، فالورد في الأكمام عندما أرغمها والدها على ترك المدينة، أحست بألم الفراق عن أنس الوجود، فبكت بكاء شديدا، وكتبت رسالة على باب حجرتها في شكل أبيات شعرية نصها:

مسلمة بإشارات يحيينا

بالله يا دار إن مر الحبيب ضحى

لأنه ليس يدري أين أمسينا

أهديه منا سلاما زاكيا عطرا

1: المقدمة، ابن خلدون : 507.

الفصل الثالث: السمات الحضارية في حكايات ألف ليلة وليلة

وقال عنها لسان الحال وحرباه
من التفرق ما بين المحبين
لما رأيت كؤوس البعد قد ملئت
والدهر من صرفها بالقهر يسقينا
مزجتها بجميل الصبر معتذرا
وعنكم الآن ليس الصبر يسلينا¹

كما كانت حكايات الليالي مساحة للعبير والمواعظ، يتجلى ذلك في حكاية" في شأن الجن والشياطين المسجونين في القماقم في عهد سليمان عليه السلام؛" أشتى الخليفة عبد الملك بن مروان رؤية هذه القماقم، فأرسل إلى موسى بن نصير بكتاب من عبد العزيز بن مروان، يطلب منه الإتيان بالقماقم السليمانية، فاستجاب موسى بن نصير لطلبه، واتخذ الشيخ عبد الصمد بن عبد القدوس الصمودي دليلا له ولأصحابه، فخرجوا قاصدين مدينة النحاس، وخلال رحلتهم هذه كانوا يصادفون أبياتا شعرية مكتوبة على ألواح، وعلى أبواب قصور تلك المدينة، كلها عبر، ومواعظ وإرشاد، واعتبار، وتحذير، ووعيد، ومن أمثلة ذلك:

أين الذين بنوا لذلك وشيدوا
غرفا به لم يحكها بنيان
جمعوا العساكر والجيوش مخافة
من ذل تقدير الإله فهانوا
أين الأكاسرة المناع حصونهم
تركوا البلاد كأنهم ما كانوا²

1: ألف ليلة وليلة، ج3: 161.
2: المصدر نفسه، ج4: 41.

ومثال نثري، جاء مكتوبا على اللوح الرابع نصه: "يا بن آدم يمهلك مولاك وأنت خائض في بحر الهلاك كل يوم؟ هل أوحى إليك أنك لا تموت يا بن آدم لا تغرنك أيامك ولياليك وساعاتك الملهية وغفلاتها واعلم أن الموت لك مراصد وعلى كتفك صاعد ما من يوم إلا صباحك صباحا ومساك مساء فاحذر من هجمته واستعد له، فكأني بك وقد سلبت طول حياتك وضيعت لذات أوقاتك فاسمع مقالي وثق بمولى الموالي ليس للدنيا ثبوت إنما الدنيا كبيت نسجه العنكبوت".

أين من أسس الذرى وبناهما وتولى مشيدها ثم أعلى

أين أهل الحصون من سكنوها كلهم عن تلك الصياصي تولى

أصبحوا في القبور رهنا ليوم فيه حق كل السرائر تلبى

ليس يبقى سوى الإله تعالى وهو ما زال للكرامة أهلا¹

وجاء في حكاية "المرأة الواعظة" من أهل بغداد يقال لها سيدة المشايخ، اتفق أنها أتت من مدينة حماة سنة إحدى وستين وخمسمائة، كانت تعظ الناس على الكرسي وعظا شافيا، وكان يتردد على منزلها جماعة من المتفقيين وذوي المعارف والآداب يتناظرون معها في مسائل الفقه ومن تلك الأمور، سألوها عما يفضل به الرجل عن المرأة، فنطق أحد الحضور بقوله: "لأن الله فضل الذكر عن الأنثى، وأنا أحب الفاضل وأكره المفضول"، فضحكت ثم قالت: "أتنصفي في المناظرة إن ناظرتك في هذا المبحث؟" قال: نعم، قالت: فما الدليل على تفضيل الذكر على الأنثى؟ قال: "المنقول والمعقول، أما المنقول فالكتاب والسنة، وأما الكتاب فقوله تعالى: "الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض"، وقوله تعالى: "فإن لم يكنا رجلين فرجل وامرأتان"، وقوله تعالى في الميراث: "وإن كانوا إخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين"

1: المصدر السابق، ج 3: 42.

فإنه سبحانه وتعالى في هذه المواضع، وأخبر أنّ الأنثى على النصف من الذكر لأنّه أفضل منها وأما السنة، فما روي عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - " إنّه جعل دية المرأة على النصف من دية الرجل"، وأما المعقول، فإنّ الرجل فاعل، والأنثى مفعول بها. والفاعل أفضل من المفعول بها"، فقالت له أحسنت يا سيدي، والله أظهرت حجّتي عليك من لسانك، ونطقت ببرهان هو عليك لا لكن وذلك" إنّ الله سبحانه وتعالى إنما فضل الذكر على الأنثى بمجرد الذكورية، وأما قول النبيّ - صلى الله عليه وسلم -: " لا تدعوا النظر إلى المرد فإنّ فيهم لمحة من حور العين" فهذه حجة عليك أيضا، لأنّه شبه المرد بالهور العين ولاشك أنّ المشبه به أفضل من المشبه فلولا إنّ النساء أفضل وأحسن لما شبه بهنّ غيرهنّ"¹

هكذا كانت الكتابات الأدبية فضاء واسعا رحبا، جالت بنا شهرزاد في دروبه، وأدخلتنا مسالكه حيث عرفتنا بما لها من قيمة، وأهميتها في توصيل الرسالة، وبلوغ المراد من الغوص في معاني هذه الكتابات، سواء كانت نثرا اشتمل على الأمثال والحكم، أو أبياتا شعرية، فهي في مجملها عبر وعظات وتحذير من الغرور بالدنيا، وواجب العمل للدار الآخرة من أجل الفوز بالدارين حيث جاء في الأثر قول الإمام علي كرم الله وجهه: "اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا".

1: المصدر السابق، ج:3، 209.

خاتمة:

إنّ حكايات " ألف ليلة وليلة" أغنى الفنون الأدبية العالمية، التي حافظت لنا على تاريخ في الممارسات الحياتية، في جميع الجوانب الثقافية، والاجتماعية، والأخلاقية، والسياسية والاقتصادية، كما رصدت لنا فئات المجتمع بسلبياتها، وإيجابياتها، وجميع القيم الحضارية.

وبذلك تأثرت الآداب الأوربية تأثراً كبيراً بالأعمال الأدبية العربية الكبرى - ألف ليلة وليلة - حيث كانت لهم دافعا كبيرا في إنتاجها تهم الفكرية والأدبية. ونظرا لأهمية هذا الكتاب والمكانة المرموقة، التي حظي بها على المستوى العالمي فقد أثرت حوله العديد من الأسئلة ومنها على وجه الخصوص، سؤال الانتماء والتأليف، وبعد رحلة البحث والتنقيب استخلصنا النتائج الآتية:

❖ هناك من جزم بأنّ كتاب "ألف ليلة وليلة" فارسي الأصل.

❖ ورأي آخر يرى أنه إبداع عربي وفارسي.

❖ ومنهم من يرى بأنه عربي محض.

فهي أفضل وأروع ما كتبه الفكر البشري، فقد جمعت بين قصص الحب، والمغامرة والنوادر، والفلسفة، والأخلاق، والشعر، والأمثال، والحكم. وكانت تشكيلة لعوالم عجيبة وغريبة جمعت بين الإنس والجن، والملوك والسلاطين، والأميرات والجواري، والدور والقصور، واللؤلؤ والياقوت، إلى حدّ الإبهار بشهادة الغرب (ستا ندال، غوته، فولتير) قبل العرب.

و"ألف ليلة وليلة" هي عبارة عن ليالٍ، مُنحت فيها شهرزاد لقب الأستاذة، لبراعتها وقدراتها في عملية القصّ، متخذة خطةً بدايتها تمهيد للحكاية بلازمة - بلغني أيها الملك السعيد، نو الرأي الرشيد - لشدّ انتباه شهريار بالدرجة الأولى، والقارئ بالدرجة الثانية. فإما تكون الحكاية قصة واحدة، وإما تشتمل على قصص ثانوية تتفرع عن الأولى، ثم تنهيها بلازمة أخرى - وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح - تاركة إياه في شوق لتتمة الحكاية.

وتباينت لغة الحكايات بين الفصحى و العامية، وتخلّلت عملية السرد مقطوعات شعرية وحرّكت أحداث الحكايات شخصيات مختلفة، فمنها الواقعية التاريخية، ومنها الخيالية، ومنها الأسطورية.

وكثيرا ما اعتبرت حكايات "ألف ليلة وليلة" صنفا خاصا، ونوعا من أنواع التسلية، وليس عملا نشأ عن أخلاقيات الثقافة العربية، وليس جزءا مكملا لها؛ لهذا السبب شغل هذا العمل مكانا محدودا في الدراسات التحليلية للجامعات العربية، ولكن بعد اطلاعنا وقراءتنا المتفحصا لكتاب "ألف ليلة وليلة"، وبعد الغوص في حكاياته المثيرة للاهتمام، التي شددت انتباهنا إلى عالمها الواسع خرجنا بعدة نتائج من بينها:

❖ إن "ألف ليلة وليلة" ابنة الحضارة الإسلامية بكل ما تعنيه من انفتاح على الحضارات الأخرى، لتمييزها بالتعاليم الإسلامية.

❖ هي أكثر كتب التراث احتفاء بالواقع، الذي قدمته عبر لوحات قصصية، تجسد مشاهد حية من الحياة اليومية، كالتعامل بين الأفراد من مختلف الأجناس، الشيء الذي سحر عيون الغربيين وقلوبهم، فتشوقوا لزيارة الشرق.

❖ قدمت لنا نماذج مدهشة للمرأة الحرة (العالمة، المقاتلة، المضحية، الوفية،....) يكفي أنموذج شهرزاد - بنت البلد - التي استطاعت إنقاذ بنات جنسها بفضل ما تمتلك من حكمة، وأدب ومعرفة بالنفس البشرية.

❖ استطاعت الليالي أن تمدنا بصور الانفتاح والحرية الدينية بعرضها قيما إسلامية ولذلك ضمنت الاستمرارية والخلود.

❖ حاولت الحكايات تحديد الخلل بأنواعه في تلك العلاقات القائمة بين الواقع من وجهة والصورة المثالية للمجتمع العربي وغيره من وجهة أخرى.

❖ أعطت الحكايات سبل إحداث النقلة (التغيير والتطور) من الواقع المؤلم إلى المستقبل المشرق (شهر يار أنموذجا).

في ختام هذه النتائج نعتقد أن حكايات "ألف ليلة وليلة" أرخت لروح الحضارة العربية الإسلامية عبر مشاهد يومية متعددة، ابتعدت عن النظرة السكونية (التجارة، الرحلة، الحج السفر،...)؛ إذ كثيرا ما أبهرتنا (حكايات غريبة ذات أبعاد رمزية)، أو زادتنا معرفة (حول الدنيا والآخرة، تعاليم إسلامية، أمور ثقافية)، فقد اقتربت من روح الشعب البسيط قدر اقترابها من النخبة فجدت لنا العلاقات الإنسانية بكل حيويتها وغرابتها، فأدركنا بفضلها أن إزالة سوء التفاهم محكوم بالمعرفة، واقتراب الإنسان من أخيه الإنسان.

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم برواية ورش بن نافع.
- الحديث النبوي الشريف. " صحيح مسلم"، شرح النووي، دار إحياء التراث العربي، الجزء الثاني، بدون طبعة، بدون سنة.

أ - الكتب:

- 1 - أخلاقنا الاجتماعية، مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي، دمشق، الطبعة الثالثة، سنة 1955.
- 2 - إشكالية العمران والمشروع الإسلامي، إبراهيم بن يوسف، مطبعة أبو داوود، الجزائر بدون طبعة، سنة 1992.
- 3 - الرواية في التراث السردي، سعيد يقطين، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى سنة 2006.
- 4 - ألف ليلة وليلة، دار الكتب العلمية، بيروت، الأجزاء الأربعة، بدون طبعة، سنة 1999.
- 5 - ألف ليلة وليلة تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية " حمال بغداد"، عبد المالك مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، بدون طبعة، سنة 1993.
- 6 - ألف ليلة وليلة في نظرية الأدب الإنجليزي، الوقوع في دائرة السحر، محسن جاسم المسوي، منشورات مركز الإنماء القومي، بيروت، الطبعة الثانية، سنة 1986.
- 7 - الفهرست، ابن النديم، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، سنة 1997.
- 8 - القصة الشعبية ذات الأصل العربي، روزلين ليلي قريش، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، مارس 2007.
- 9 - المسار السردي وتنظيم المحتوى دراسة سيميائية لنماذج من حكايات " ألف ليلة وليلة" عبد الحميد بورايو، دار السبيل للنشر و الإشهار، الجزائر، بدون طبعة، سنة 2008.
- 10 - المقدمة، عبد الرحمن بن خلدون، دار الكتاب العربي، بيروت، بدون طبعة، سنة 2004.

قائمة المصادر والمراجع

- 11- بيان شهرزاد، شرف الدين مجدولين، المركز الثقافي العربي، المغرب، الطبعة الأولى سنة 2001.
- 12- تاريخ الخلفاء، جلال الدين السيوطي، دار النشر والتوزيع، بيروت، الجزء الرابع-ع والجزء الخامس، الطبعة الأولى، سنة 2005.
- 13- تاريخ الدولة الأموية، محمد بن أحمد كنعان، مؤسسة المعارف، بيروت، الطبعة الأولى سنة 1997.
- 14- توظيف التراث في الرواية العربية، محمد رياض وتار، إتحاد الكتاب العرب، دمشق بدون طبعة، سنة 2002.
- 15- ديوان الأمين و المأمون، واضح الصمد، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، سنة 1998.
- 16- صورة الآخر في التراث العربي، ماجدة حمود، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت الطبعة الأولى، سنة 2010.
- 17- غوثة وألف ليلة وليلة، كلترينا مومس، ترجمة أحمد الحموم، مطابع السياسية في الجيش دمشق، بدون طبعة، سنة 1980.
- 18- فسيفساء قبة الصخرة، إبراهيم الفني، داراليازوري العلمية للنشر والتوزيع، الأردن بدون طبعة، سنة 2007.
- 19- في الرواية الأخلاقية، جون كاروز، ترجمة إيشو إلياس يوسف، دار الشؤون العامة ط 1986.
- 20 - مروج الذهب، المسعودي، دار الأندلس، بيروت، الجزء الثاني، بدون طبعة، سنة 1973.
- 21 - معجم ألفاظ القيم الأخلاقية وتطورها الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم نوال كريم زرزور، مكتبة لبنان ناشرون، الطبعة الأولى، سنة 2001.
- 22 - معجم الملابس في لسان العرب، أحمد مطلوب ، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، الطبعة الأولى، سنة 1995.

قائمة المصادر والمراجع

23 - مقالات في الأدب والترجمة، عبد العالي بشير، كنوز الإنتاج والنشر والتوزيع الجزائري، ط1، سنة 2009.

24 - هارون الرشيد أمير الخلفاء وأجل ملوك الدنيا، شوقي أبو خليل، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، 1977.

ب - الندوات:

- ندوة الأدب المقارن ودوره في تقارب الشعوب، مقالة "أنديه جيد وألف ليلة وليلة"، لزبيدة القاضي، جامعة حلب، سوريا، بدون طبعة، سنة 2005.

ج - الرسائل الجامعية:

1 - الاغتراب في ألف ليلة وليلة، مقاربة نفسية واجتماعية، شريف بموسى عبد القادر، مذكرة ماجستير في الأدب الشعبي، جامعة تلمسان، 1996 - 1997.

2 - ألف ليلة وليلة في الترجمة الفرنسية، دراسة تحليلية مقارنة، فيدوح يسمينة، مذكرة ماجستير في الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان، سنة 2001.

3 - المدينة في الرواية العربية الجزائرية، خليفة قرطي، مذكرة ماجستير في اللغة والأدب العربيين، جامعة الجزائر، سنة 1994-1995.

4 - تأثير ألف ليلة وليلة في القص الشعبي الجزائري، شهرزاد بوسكاية، مذكرة ماجستير في الأدب الشعبي، جامعة تلمسان، سنة 2006 - 2007.

5 - تجليات العجيب في حكايات "ألف ليلة وليلة"، ليلي حوما ني، مذكرة ماجستير في الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان، سنة 2003 - 2004.

6 - صورة العجوز في حكايات "ألف ليلة وليلة" الجيلالي بن عربية، مذكرة ماجستير في الثقافة الشعبية، سنة 2006.

د - الملتقيات و المهرجانات:

قائمة المصادر والمراجع

1 - التسامح في الإسلام، ملتقى دولي، منشورات المجلس الأعلى، الجزائر، أيام 23 - 24 - 25 مارس، سنة 2009.

2 - المهرجان الوطني للباس التقليدي والفنون الشعبية، الديوان البلدي للثقافة و السياحة، عنابة أيام من 23 إلى 31 جويلية 2000.

هـ - الموسوعات:

- الموسوعة الميسرة، مجموعة مؤلفين، دار الجيل، بيروت، القاهرة، تونس، ط1، سنة 2001.

و - المجلات:

1 - في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد عبد المالك مرتاض، عالم المعرفة، الكويت 1998، العدد 240.

2 - العربي، مجلة شهرية ثقافية يكتبها العرب، الكويت، يوليو 2011، العدد 632، مقالة كنوز " ألف ليلة وليلة " كما قرأتها سهير القلماوي، أحمد شمس الدين الحجاجي.

ز - مواقع الأنترنت:

- قصة الإسلام، راغب السرجاني: www.islamstory.com

أ - ب	مقدمة.....
38 - 1	الفصل الأول: نظرة مجملة عن ألف ليلة وليلة.....
1	1 - التعريف بكتاب ألف ليلة وليلة.....
1	أ - العنوان.....
4	ب - مرجعية الكتاب.....
7	ج - مضمون الكتاب.....
12	2 - ملخص عن بعض الحكايات المتضمنة للسمات.....
61 - 39	الفصل الثاني: شخصيات ألف ليلة وليلة وعلاقتها بالحضارة.....
39	1 - تحديد شخصيات الحكايات المختارة للدراسة.....
41	أ - الشخصيات التاريخية الواقعية.....
46	ب - الشخصيات التخيلية.....
47	ج - الشخصيات الأسطورية.....
49	2 - علاقة الشخصيات بالحضارة.....
95 - 62	الفصل الثالث: السمات الحضارية في حكايات ألف ليلة وليلة.....
62	1 - السمات المعنوية.....
62	أ - الوفاء بالعهد.....
64	ب - الصدق.....
66	ج - العدل.....

69	د - التواضع.....
70	هـ - الإخلاص.....
71	و - الصبر.....
73	ز - التسامح.....
74	ح - الكرم.....
77	ط - العقل.....
77	ي - العلم.....
80	2 - السمات المادية.....
80	أ - العمران.....
83	ب - اللباس.....
86	ج - العادات والتقاليد.....
89	د - المهن.....
92	هـ - الكتابات الأدبية.....
96	خاتمة.....

قائمة المصادر والمراجع.